مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

معالـم منهج الإمـام المهدوي في التفسـير من خـلال تفسيره التحصيـل لفوائـد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل(*)

د/ عز الدين صالح مناري
أستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية – كلية
الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة
hamza1992hajar@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 1/7/2022 تاريخ قبوله للنشر 27/7/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

معالـم منهج الإمـام المهدوي في التفسـير من خـلال تفسيره التحصيـل لفوائـد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل

د/ عز الدين صالح مناري
أستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى – مكة المكرمة

المستخلص

يتناول هذا البحث التعريف بمنهج الإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي في التفسير من خلال تفسيره (التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)، وقد اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي لمعالجة الموضوع، وخرج بجملة من النتائج، وأهمها: عمد المهدوي إلى استخراج آيات الأحكام وتفسيرها على ضوء ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين والتركيز عن الاختلافات المذهبية وإعطاء الأولوية للمذهب المالكي في استنباط هذه الأحكام، واعتمد على علم الناسخ والمنسوخ في ضبط بعض الأحكام إلا أنه أسرف في التعامل مع هذا العلم، ذكر المهدوي القراءات المتواترة من غير أن يحتج لها خلافا لما قام به في تفسيره الكبير التفصيل، وذكر القراءات الشاذة من غير أن يذكر علل شذوذها.

الكلمات المفتاحية: المنهج. المهدوي. التحصيل. التفصيل

The Approach of Imam Mahdawi in Interpretation through his book "Al-Taḥṣill Li Fawā'id Al-Tafṣil Al-Jāmi´ Li Oloum Al-Tanzil"

Dr. Azeddin Salah Manari
Professor in the Department of Da`wah and Islamic Culture
College of Da`wah and Fundamentals of Religion
Umm Al-Qura University Makkah, KSA

Abstract:

This study aims at explaining and introducing the approach of Imam Abu Al-Abbas Ahmed bin Ammar Al-Mahdawi in interpretation through his book "Al-Taḥṣill Li Fawā'id Al-Tafṣil Al-Jāmi´ Li Oloum Al-Tanzil."

To achieve the objective of the study, the researcher has used the analytical and inductive method. The study has come out with a number of results, mainly: Al-Mahdawi extracted and interpreted verses about rulings in the light of what was traced back to the Prophet Mohammed, PBUH, his companions and the followers, focusing on doctrinal differences and giving priority to the Maliki school in deriving these rulings. He relied on "the science of abrogation" in some rulings, but he tackled this science too much. Al-Mahdawi mentioned the various Qira'āt (different types of Quranic Recitings) without providing evidence, in contrary to what he had done in his "Al Kabir Al Tafsil" interpretation and mentioned the abnormal Recitings without mentioning the reasons for their abnormality.

Keywords: Approach, Mahdawi, Al-Taḥṣill, Al-Tafṣil**.**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الخلق وأنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كتابه المبين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، أعجز الفصحاء الإتيان بمثله ومعارضته كما أعجز كل ذي علم أن يناقضه. فيه خير الدنيا والآخرة ونجاة من تمسك به، قال تعالى: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾ [الأنعام: ٣٨]، فلله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وله الحمد على نعمة القرآن وعلى غيره من النعم التي لا تعد ولا تحصى، كما له الحمد أن يسر لي السبل لإتمام هذا العمل خدمة لهذا الكتاب المبين فله الحمد في الأولى والآخرة. أسأله سبحانه أن يجعلني من أهل القرآن وخاصته وأصلي وأسلم على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أول من بين القرآن من خلق الله ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿**وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**﴾ [النحل: ٦٤]. ورضي الله عن أولئك الأخيار من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم وعلى كل من قدم خدمة للقرآن الكريم من علمائنا من سلف هذه الأمة وخلفها الذين حفظ الله بهم كتابه ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر: ٩]. إن من أجل العلوم الشرعية علم التفسير لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾ [فصلت: ٤٢]، فسخر الله العلماء من خلقه ليبينوا ما فيه فكان أولهم كما ذكرت آنفا محمد صلى الله عليه وسلم فقد بين مجمل القرآن وقيد مطلقه وخص عامه ووضح ناسخه ومنسوخه. ومن بعده أصحابه الذين شاهدوا التنزيل وعاينوا الأحداث معه فحفظوا القرآن في صدورهم وفهموا آياته فطبقوا ذلك في حياتهم فكان الرجل منهم يسعى ليعرف أين نزلت هذه الآية أو السورة وفيمن نزلت فهذا عبد الله بن مسعود يقول: "والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم مني بكتاب الله تناله المطايا لأتيته"(١)، ومثل هذا القول قاله علي بن أبي طالب(٢)، ومنهم حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس الذي شرف بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وكان له الفضل في إنشاء مدرسة مكة في التفسير كما كان لعبد الله بن مسعود الفضل في تأسيس مدرسة الكوفة، وأبي بن كعب مدرسة المدينة. ومن بعد هؤلاء التابعون الذين أملوا تفسيرات شيوخهم من الصحابة، وكان مجاهد في مقدمتهم قال سفيان الثوري: "إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك"(٣)، وقال قتادة: "فما في القرآن من آية إلا سمع فيها شيئا"(٤). فكان يحزن هؤلاء إن فاتهم شيء من القرآن فهذا عمرو بن مرة يقول: "ما مررت بآية في كتاب

(١) جامع البيان ج١، ص٨٠

(٢) الإتقان في علوم القرآن ج٤، ص٢٠٤.

(٣) مقدمة في أصول التفسير ص١٠٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ج٥، ص٦٧.

الله لا أعرفها إلا أحزنتني لأني سمعت الله يقول: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾ [العنكبوت: ٤٣][١].

ومن بعد هؤلاء صفوة من هذه الأمة فسروا القرآن إتباعا لسلفهم واستنوا بسنتهم ففسروا القرآن بالقرآن والقرآن بالسنة والقرآن بأقوال الصحابة والتابعين وبما أفاء الله عليهم من لغة سليمة من نحو وصرف واشتقاق وبلاغة وفقه وأصول. علموا أن هذا القرآن مأدبة الله وعلموا مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن خدم هذا النص "إن لله أهلين من الناس قالوا يا رسول الله من هم قال هم أهل القرآن أهل الله وخاصته"[٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[٣]، وفي رواية "إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه"[٤]، والخيرية أن يفهم القرآن من قبل أهل هذه الصنعة وهم أهل التفسير الذين يعرفون ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهة ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وعبره. وعلم المفسر يؤتى من نهله من مصادر التفسير وقواعده لأن العلم بها يوصل المفسر إلى المقصد الصحيح وهو إسعاد البشرية كما سعدت به زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن أصحابه والتابعين وهذه السعادة تبدأ بإصلاح العقيدة وترسيخها في قلوب الناس ثم بث الخلق الحسن في نفوسهم وبعد ذلك بيان الحكمة والمقصد من تشريعات القرآن التي تؤدي إلى إصلاح الأمة وصلاحها وحفظ نظامها، ولا ينسى المفسر عصره وزمانه، ومن ثم نرى أن هذا العلم قد حاز الشرف من ثلاثة جهات: فالجهة الأولى: من حيث الموضوع فموضوعه كما ذكرت آنفا هو كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه. والجهة الثانية: الغرض فغرضه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى. والجهة الثالثة: الحاجة إليه فلأن كل كما ديني أو دنيوي عاجله أو آجله مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله[٥].

وهذه الحاجة جعلت بعض العلماء يصنفون التفسير ضمن الفروض الكفائية، قال الكافيجي: "تعلمه واجب كوجوب تعلم سائر العلوم الإسلامية بالإجماع ولن تعلم الشرائع واجب مطلق لا يتم إلا به وما لم يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب وتعلمه فرض من فروض الكفاية"[٦]. وقال السيوطي: "وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفاية"[٧]، وإذا رجعنا إلى المفسرين نجد أن تفسيراتهم جاءت بكل ما احتاج الناس إليه من بيان وتوضيح ما استشكل من فهمهم لبعض الآيات، فهذا ابن عطية يتحدث عن سبب تأليفه

(١) انظر الإتقان ج٤ ص١٧٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١ ص١.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن باب ٢١ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ج٨ ص٦٩٢ رقم ٥٠٢٧.

(٤) المصدر نفسه رقم الحديث ٥٠٢٨.

(٥) مقدمة في أصول التفسير ص١٥٧ و١٥٨ والإتقان في علوم القرآن ج٤ ص١٧٣.

(٦) التيسير في قواعد التفسير ص١٥١.

(٧) الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص١٧٣.

لمحرره "فلما أردت أن اختار لنفسي وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رسمي سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قد شرف المعلوم فوجدت أمتنا حبالا وأرسخها جبالا وأجملها آثارا وأسطعها أنوارا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه"(١).

وقد تضافرت جهود المفسرين لتفسير كتاب الله تعالى وبدأت تلك الجهود من المشرق الإسلامي بحكم سبقهم الدخول في دين الله أفواجا، ولا ننسى ما قام به المغاربة في هذا المجال ومن قبل حبهم لهذا الدين منذ الفتح الإسلامي لهذا القطر– المغرب الإسلامي– وترجم هذا الحب في بناء الشخصية المسلمة التي تعي كتاب ربها فبدأوا بإنشاء الكتاتيب ومن بعد الجوامع كجامع الزيتونة وجامع قرطبة وجامع القرويين وبدأت حلقات العلم داخل هذه الجوامع، وكان البدء عند المغاربة تحفيظ القرآن وبعد التحفيظ يبدأ الطالب يتعلم الآليات التي تساعده لفهم هذا المحفوظ كاللغة وفروعها والعلوم الشرعية. وأول تفسير علمي مدون لدى المغاربة هو ليحي بن السلام (ت.٢٠٠هـ) قال عنه الفاضل ابن عاشور "أول التفاسير ظهورا"(٢). يقع هذا التفسير في ثلاثين جزءا من التجزئة القديمة أي في ثلاث مجلدات ضخمة ومن بعده تفسير بقي بن مخلد (ت.٢٧٦هـ) ويقع في سبعين جزءا قال عنه ابن حزم: "أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسير بقي بن مخلد لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره"(٣)، ومن بعدهما مفسرون آخرون في القرن الثالث. وفي القرن الرابع أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عيسى بن أبي زمنين (٣٢٤ – ٣٩٩). أما القرن الخامس فقد ظهر علماء برزوا في علم التفسير كأبي عمرو الداني (٣٧١ – ٤٤٣) ومكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ – ٤٣٧) وأحمد بن عمار المهدوي (٤٤٠) إلا أن أبا عمرو ومكي قد نالا اهتماما من قبل الباحثين أكثر مما ناله المهدوي.

وموضوع هذا المقال المتواضع دراسة لكتاب التحصيل لفوائد التحصيل الجامع لعلوم التنزيل وقد قسمه المهدوي إلى أربعة مباحث؛ مبحث الأحكام والنسخ، مبحث التفسير، مبحث القراءات، مبحث الإعراب، وهذه الطريقة جديرة بالبحث والدراسة.

أهمية البحث:

للإمام المهدوي جهود مباركة في خدمة كتاب الله تعالى من حيث تفسيره وتوجيه قراءته، وهذه الجهود بحاجة ماسة لإثراء المعرفة بها لدى الدارسين وطلاب العلم باعتباره من أهم أعلام الأمة الذين لم ينالوا حقهم من التعريف والإبراز رغم كثرة مؤلفاته وعمقها وأهميتها.

(١) المحرر الوجيز ج١ ص٣.

(٢) التفسير ورجاله ص٣٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ج١٣ ص٢٨٨.

مشكلة البحث:

بالرغم من أهمية مؤلفات الإمام المهدوي في تاريخ الحضارة الأندلسية والمكتبة الإسلامية إلا أن التعريف به وبجهوده مازالت يسيرة وغير معلومة، ومن هنا كان اختيار هذا البحث، لتغطية هذه الفجوة.

أهداف البحث:

١. التعريف بالإمام المهدوي ومؤلفاته العلمية.

٢. بيان معالم منهج الإمام المهدوي في التفسير إجمالاً.

٣. التعريف بمصادر الإمام المهدوي في تفسيره.

منهج البحث:

سار الباحث في بحثه هذا وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي لمعالجة قضايا البحث وسبر أغوارها، كي يقدم صورة جلية عن منهج الإمام المهدوي في كتابه (التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل).

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: التعريف بالإمام المهدوي

المبحث الثاني: معالم منهج الإمام المهدوي في تفسيره التحصيل.

المبحث الأول

التعريف بالإمام المهدوي

المطلب الأول: نشأة الإمام المهدوي:

لم يُهتم بالمهدوي كما اهتم بغيره[١] من علماء الأندلس المبرزين، فلم يترجم له كما ترجم لهم[٢] ومن خلال دراستي للكتب التي ترجمت له يكاد يكون إجماع على أنه أبو العباس أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي[٣] التميمي[٤] المغربي[٥] القيرواني[٦]، وذكر اقوت أنه أحمد بن محمد بن عمار بن مهدي بن إبراهيم المهدوي أبو العباس[٧]. وذكره الكافيجي باسم أبي العباس المهدوي[٨]، قدم الأندلس[٩]، وأصله من المهدية[١٠] من بلاد

(١) مثل أبي عمرو الداني ومكي بن أبي طالب القيسي وقد عاصراه فقد ترجم لهما من الولادة إلى الوفاة.

(٢) ومن المصادر التي لم تترجم للمهدوي القاضي عياض في ترتيب المدارك وقد ترجم للمالكية والمهدوي أحدهم كما أشار إلى ذلك محمد بن محمد بن مخلوف فقد جعله من الطبقة التاسعة من المالكية انظر شجرة النور الزكية: ج١ ص١٠٨ رقم ٢٨٤، ولم يترجم له الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء وكذلك ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وابن فرحون في الديباج المذهب.

(٣) انظر الصلة ج١ ص٨٦ رقم ١٨٨ وأنباه الرواة: ج١ ص١٢٦ وطبقات المفسرين: السيوطي ص٣ رقم ٩ وبغية الملتمس ص١٦٣ رقم ٣٥ وكشف الظنون ج٢ ص٤٥٩ و٥٢٠ و٢٠٤٠ وسراج القاري ص٢٧، والغنية: فهرست شيوخ القاضي عياض ص٦١.

(٤) انظر كشف الظنون ج٢ ص٤٦٢ والأعلام ج١ ص١٨٤ وتراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ ج٤ ص٣٩٧، ولعل هذه النسبة تفيد أن المهدوي من أصل عربي من تميم جاء أجداده مع جيوش الفتح الإسلامي وتميم قبيلة نجديه أصبح أفرادها من حاضرة نجد وجبل شمر والد ساكر النجدية، انظر معجم قبائل العرب: عمر رضا كحالة ج١ ص١٢٥ وقال جمعة محمد الجاسر "يعرف من باديتها في نجد الجيلان الذين دخلوا في قبيلة مطير" انظر معجم قبائل المملكة العربية السعودية ج.١ ص٦١.

(٥) انظر جذوة المقتبس ج٣ ص١٥٤ رقم ١٨٩ وأنباه الرواة ج١ ص١٢٦.

(٦) الصلة ج٢ ص٨٩.

(٧) معجم الأدباء ج٢ ص٥٠٨ رقم ١٨٦، لعل ياقوتا أخط الصواب في حمل عمار جد المهدوي في حين أن عمار هو أبوه كما حمل مهدي جد أبيه مع أن مهديا هو جده لأمه كما سنوضح عند ذكر شيوخ المهدوي وقد ذكر ذلك ابن الجزري في طبقات القراء ج١ ص٩٢، وقال المهدوي "وأخبرني به جدي مهدي بن إبراهيم" بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ص١٤٤.

(٨) في كتابه التيسير في قواعد علم التفسير ص٢٥٢.

(٩) اختلف في السنة التي دخل فيها المهدوي الأندلس قال الزركلي أنه دخلها سنة ٤٠٨ انظر الإعلام ج١ ص١٨٤، وذهب الضبي والحميدي أنه دخلها سنة ٤٣٠ انظر بغية الملتمس ص١٦٣ وجذوة المقتبس ج٣ ص١١٤ وتراجم المؤلفين التونسيين ج٤ ص٣٩٧. وقد شرفت الأندلس بقدوم غير المهدوي كالطلمنكي الذي أقام بغرب الأندلس يقرئ بتصنيفه كتاب الروضة، ومكي بن أبي طالب القيسي أقام بقرطبة يقرئ بكتاب التبصرة من تأليفه، وأقام الداني بشرقي الأندلس يقرئ بكتاب التيسير وأقام أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن الخزرجي يقرئ بكتاب القاص" انظر منجد المقرئين ص٢٦.

(١٠) تقع المهدية على بعد سبعين ميلا جنوب القيروان ويحيط بها البحر من ثلاث جهات، أسسها عبد الله المهدي سنة ٣٠٠هـ وشيدت مبانيها بالصخر واتخذ لها المهدي بابين من الحديد لا خشب فيهما زنة كل باب منهما ألف قنطار وطوله ثلاثون شبرا، وذكر أن من أسباب تأسيسه لها أن تقيه من الهجمات البربرية التي كانت تأتي من القيروان. انظر تفصيل ذلك: تاريخ الإسلام ج.٣ ص٤١١. وانظر معجم البلدان: الحموي ج.٥ ص٢٣٠ إلى ٢٣٢ والفرق الإسلامية بالشمال الإفريقي ص١٨٨.

القيروان[١]، قال ابن الجزري نسبة إلى المهدية بالمغرب[٢]، وقال القفطي أصله من المهدية من بلاد افريقية[٣] وذكر أنه من المهدية[٤] دون أن تنسب إلى جهة.

المطلب الثاني: رحلة الإمام المهدوي في طلب العلم:

من الأسباب التي جعلت المهدوي يرحل إلى الأندلس كغيره من العلماء هو نشر علمه، خاصة وأن كتب التراجم لم تحفظ له من العلم حتى رحل إلى هذا البلد[٥]، بالإضافة إلى كرم الأمير مجاهد العامري[٦] الذي قرب إليه العلماء خاصة القراء منهم قال المهدوي "فإذا كان أدام الله توفيقه عديم أتراب وأقران ونديم آداب وقرآن وهو مجتهد في أن ينهج للعلوم طريقا ويقيم للأدب سوقا مع كونها في زماننا هذا سبلا طامسه في التأميل وسلعها كاسدة إلا عند القليل وما يرغب في المجد واكتسابه ويحرص على حوزه واجتلابه إلا أحرز الرجال ومعاني الآمال"[٧]، وجعل محمد الشاذلي النيفر رحلة المهدوي إلى الأندلس منافسة العلماء الآخرين[٨]، ولعل المناظرة التي دارت بينه وبين أبي عمرو الداني شاهدة على ذلك[٩] وعاش المهدوي في جزيرة دانية[١٠] بالأندلس وهي التي كان عليها مجاهد العامري ومن رحلاته الذهاب إلى مكة[١١]، وقد أملى بها كتابا بعنوان البرهان على القرآن[١٢].

---

(١) انظر الصلة ج٢ ص٨٦ وجذوة المقتبس ج٣ ص١١٤، ومعجم الأدباء ج٢ ص٥٠٨.

(٢) انظر طبقات القراء ج١ص٩٢ وطبقات المفسرين، الداودي ج.٢ ص.٥٦ ويقصد بالمغرب القطر الكبير وليس البلد المسمى بالمغرب الأقصى وأشار إلى ذلك الحموي فقال "والمقصود بالمهدية عندنا الموجودة بإفريقية لأن هناك مكان ثاني يسمى بهذا الاسم قرب سلا اختطه عبد المومن بن علي" انظر معجم الأدباء ج٥ ص٢٢٩.

(٣) انظر أنباه الرواة ج١ ص١٢٦ ومعجم الدباء ج٥ ص٢٢٩.

(٤) انظر: شجرة النور الزكية ج.١ ص١٠٨. ومعرفة القراء ج١. ص.٣٢٠ وبغية الوعاة ج١. ص.٣٥١ وطبقات القراء ج.١ ص.٩٢ والأعلام ج.١ ص.١٨٤ والبيان المغرب ج.١ ص.١٦١.

(٥) انظر معجم الأدباء: ج.٢ ص.٥٠٨ والأعلام ج.١ ص.١٨٤ والصلة ج٢. ص.٨٦ وأنباه الرواة ج.١ ص.١٢٦ وشجرة النور الزكية ج.١ ص.١٠٨ وبغية الوعاة ج.١ ص.٣٥١ ومعرفة القراء ج.١ ص.٣٢٠ وبغية الملتمس ص١٦٣.

(٦) أبو الحبيش مجاهد العامري المعروف مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور كان من الكرماء على العلماء توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة: بغية الملتمس ص.٤٧٢ ومعجم الأدباء ج.١٧ ص.٨٠ و٨١.

(٧) التحصيل ص.٢.

(٨) مجلة جوهر الإسلام ص.١٥ عدد ٢ سنة ١٣٩٧ الموضوع "المساهمة الإفريقية في إفريقيا".

(٩) وقد ذكرها أبو عمرو في كتابه التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه.

(١٠) انظر: التحصيل ص.١ ورسالة التنبيه ص.٣٩٣.

(١١) يوضح ذلك تلمذته على محمد بن السماك بمكة: انظر بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ص.١٤٤ وقال أبو عمر "ولعله لم يقم بمكة إلا أيام الموسم وزاد على ذلك شهرا أو شهرين أو أشهر، رسالة التنبيه عن الخطأ والجهل والتمويه ص.٤٠٤، وقد أخذ بمكة عن أبي الحسن أحمد بن محمد القنطري: تراجم المؤلفين التونسيين ج.٤ ص.٣٩٧.

(١٢) انظر: التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه ص.٣٩٨ فقد أنكر عنه أبو عمرو ذلك، وانظر كتاب البرهان في علوم القرآن للمهدوي.

وذكر أبو عمرو أنه قدمها صغيرا ولم يحفظ القرآن[١]، ولم تحفظ لنا كتب التراجم أنه رحل إلى مصر إلا ما قاله هو "ورأيت غيره من شيوخ المصريين"[٢]، وأذهب أن هذه العبارة غير دالة على التلمذة لعل المهدوي التقى بهم في موسم الحج أو كما قال هبة الحموي (ت ٥٩٥) "أنه اجتاز بأرض مصر حاجا"[٣].

المطلب الثالث: مكانته العلمية:

إن للمهدوي مكانة علمية بارزة وذلك واضح في اتجاهات متعددة والدارس لكتبه يلحظ ذلك إذ برز الرجل في علم القراءة والتفسير واللغة والفقه أما الحديث فكانت بضاعته فيه مزجاة ولعل تلمذته فيه كانت قليلة باستثناء ما أخذه عن شيخه أبي الحسن القابسي الذي اهتم في آخر حياته بالفقه والحديث[٤] وشيخه البلوي.

قلت: إن الشمولية العلمية للشيخ المهدوي واضحة من تفسيره الذي بين أيدينا فالباحث يجد الرجل قارئا ولغويا وفقيها ومفسرا ولعل تقسيمه لتفسيره إلى مباحث منها: الأحكام والنسخ والتفسير والقراءات والإعراب يوضح علمه زيادة ثناء للعلماء عليه نورد بعضها: قال الحميدي: "كان عالما بالقراءات والأدب متقدما ذكره لي بعض أهل العلم بالقراءات وأثنى عليه وأنشدني له في ظاءات القرآن[٥]:

ظننت عظيمة ظلمنا من حظها	فظللت أوقظها لكاظم[٦] غيظها
وطعنت انظر في الظلام وظله	ظمآن انتظر الظهور لوعظها
ظهري وظفري ثم عظمي لظى	لأظاهــرن لحظها ولحفظها
لفظي شواظ أو كشمس ظهيرة	ظفر لدى غلظ القلوب وفظها[٧]

وقال ابن الجزي: "متقن التأليف حسن الترتيب جامع لفنون علوم القرآن"[٨]، وقال الزركشي: "حسن التأليف"[٩]، وقال ابن الجزري "أستاذ مشهور"[١٠]، وقال الذهبي "كان رأسا في القراءات"[١١]، وقال السيوطي:

(١) قال أبو عمرو "... فدل على أنه قدم مكة عالما إماما لا طالبا متعلما وسنه يدل على أنه قدمها ولم يحفظ القرآن في خلق الأمميين ومن ضعف المتلقين..." رسالة التنبيه ص.٣٩٩ و٤٠٠.

(٢) انظر شرح الهداية ج.١ ص.١٤.

(٣) الانتخاب مما ذكر في بعض آي الكتاب ص٢ نقلا من محقق شرح الهداية ج.١ ص.٦٣ والكتاب مخطوط بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة.

(٤) قال ابن الجزري: "وشغل نفسه بالحديث والفقه إلى أن رأس فيهما وبرع" طبقات القراء ج.١ ص.٥٦٧.

(٥) جاء المنظومة بعنوان "اجناس الظاآت" انظر معجم الأدباء: ج٢ ص٥٠٨ والأعلام ج١ ص١٨٤، ولهذه المنظومة شرحان: الأول لأبي طاهر إسماعيل بن احمد بن زيادة الله التجيبي البرقي (ت٤٤٥)، انظر نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٥٤٠. والشرح الثاني لمحمد بن علي بن موسى المحلي (ت٦٧٣) انظر المخطوط في عارف حكمت بالمدينة رقم ٣٩ علوم القرآن. وذكره محمد محفوظ في كتابه تراجم المؤلفين التونسيين ج٤ ص٣٩٨.

(٦) في معجم الأدباء "لتكظم" ج٢ ص٥٠٨ وفي بغية الملتمس "لأكظم" ص١٦٤.

(٧) انظر جذوة المقتبس ج٣ ص١١٤.

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص١٠.

(٩) البرهان في علوم القرآن ج٢ ص١٥٩.

(١٠) غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٩٢.

(١١) معرفة القراء الكبار ج١ ص٣٢٠.

كان مقدما في القراءات والعربية"[١]، وقال الضبي: "كان عالما بالقراءات متقدما ألف في التفسير كتابا حسنا"[٢]، وقال مخلوف "المقري النحوي"[٣]، وقال الكافجي "ومن المبرزين من المتأخرين أبو إسحاق الزجاج وأبو علي الفارسي وأبو العباس المهدوي"[٤]، وقال الشاطبي: "المقري المفسر مؤلف الكتب المشهورة"[٥].

وقال عنه في فصل الاستعاذة حينما روى إخفاء التعوذ عن حمزة ونافع:

وإخفاؤه فصل أباه وعاتنا وكم من فتى كالمهدوي فيه أعملا[٦]

أشار إلى حمزة بالفاء من فصل لأنها رمزه وأشار إلى نافع بالألف من أباه لأنها رمزه[٧]، وقال ابن القاصح في شرحه للبيت: "وكم من فتى كالمهدوي يشير إلى أن كثيرا من الأقوياء في هذا العلم اختاروا الإخفاء ومن جملتهم المهدوي"[٨].

وأثنى العلماء على تواليفه فقيل "عنها كثرة النفع[٩]، وأنها مفيدة[١٠]، وأنها نافعة مشهورة[١١]، والتفسير الكبير[١٢].

وسنتحدث عنها في حينها. ومن أدلة كذلك على علمية المهدوي تأثير مجموعة من العلماء به منهم من ذكره باسمه كان يقول قال المهدوي أو ذكر قوله بدون أن يحيل إلى اسمه نحو ما فعله ابن عطية في المحرر الوجيز وأبو شامة المقدسي في كتابه المرشد الوجيز وأبو حيان في البحر المحيط وابن الجزري في منجد المقرنين وابن حجر في فتح الباري كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ولن أكون مغاليا إذا قلت إن من المكثرين من ذكر المهدوي الإمام القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن.

(١) طبقات المفسرين ص٣٠ وبغية الوعاة ج١ ص٣٥١.
(٢) بغية الملتمس ص١٦٣.
(٣) شجرة النور الزكية ج١ ص١٠٨.
(٤) التيسير في قواعد التفسير ص٢٥١.
(٥) إبراز المعاني ص٦٤.
(٦) سراج القارئ المبتدي ص٢٧.
(٧) إبراز المعاني ص٦٤ سراج القارئ المبتدي ص٢٧.
(٨) سراج القاري ص٢٧.
(٩) الصلة ج١ ص٨٧ وأنباه الرواة ج١ ص٩١.
(١٠) معرفة القراء ج١ ص٣٩٩ والوافي بالوفيات ج٧ ص٢٥٧، طبقات المفسرين، السيوطي ٣٠ بغية الملتمس ج١ ص٣٥١ وشجرة النور الزكية ج١ ص١٠٨.
(١١) أنباه الرواة ج١ ص١٢٦ وغاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٩٢.
(١٢) الأعلام ج١ ص١٨٤.

المطلب الرابع: مؤلفات الإمام المهدوي:

للإمام المهدي جملة من المؤلفات وأهما:

١ – البرهان على علوم القرآن:

قال عنه أبو عمرو: "فأما كذبه وادعاؤه مموها أنه أملى بمكة كتابا سماه بكتاب البرهان على علوم القرآن فدلك ما ادعاه أنه قدم مكة عالما إماما لا طالبا متعلما وسنه يدل على أنه قدمها ولم يحفظ القرآن"(١)، وقال أيضا "وبأن كذبه مع هذا أن الاسم الذي ذكره سمى به كتابه(٢) أبو الحسن علي بن إبراهيم النحوي الحوفي(٣) الذي صنفه في أزيد من عشرة أعوام من كتب جمعها في أزيد من ستين سنة... فليت شعري كم أقام هذا الإنسان بمكة وكم سنة جاور فيها حتى أملى هذا الكتاب الذي بلغ هذا العدد... إذ لعمري لو أملى ورقة واحدة لظهرت وانتشرت... فكيف يزعم وقد زعم أن ما أملاه يشتمل عشرين مجلدا... ولعله لم يقم بمكة إلا أيام الموسم وزاد على ذلك شهرا أو شهرين أو أشهر(٤).

٢ – التفصيل الجامع لعلوم التنزيل:

يعتبر الكتاب الأول في التفسير للمهدوي وقد سماه بالكبير في كثير من المواضع من تفسيره التحصيل وقد رواه القاضي عياض بسنده عن المؤلف كما روى كتابه الهداية في القراءات السبع قال: "قرأتها عليه عن خاله عن مؤلفها وحدثني بهذا السند بشرحها وبكتاب التحصيل والتفصيل للمهدوي"(٥)، وقد ذكره القفطي باسم كتابه الكبير التفسير(٦)، وذكره شارح إبراز المعاني(٧)، وذكر المهدوي بصاحب التفسير(٨)، وذكر باسم التفسير المشهور(٩)، وذكره الزركلي باسمه الكامل: "وصنف كتبا منها التفصيل الجامع لعلوم التنزيل وهو تفسير كبير للآيات

---

(١) التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه: ص٣٩٨ و٣٩٩.

(٢) الكتاب الذي أملاه المهدوي: البرهان على علوم القرآن لكن كتاب الحوفي هو البرهان في علوم القرآن قال عنه عبد العظيم الزرقاني: لكني ظفرت في دار الكتب المصرية بكتاب لعلي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي اسمه البرهان في علوم القرآن وهو يقع في ثلاثين مجلدا والموجود منه الآن خمسة عشر مجلدا غير مرتبة ولا متعاقبة من نسخة مخطوطة" مناهل العرفان ج١ ص٣٤ و٣٥.

(٣) علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفي المصري النحوي توفي سنة ثلاثين وأربعمائة: طبقات المفسرين: السيوطي ص.٨٣ رقم ٧٦ وسير أعلام النبلاء ج١٧ ص٥٢١ و٥٢٢ رقم ٣٤٦.

(٤) انظر التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه ص٤٠١ إلى ٤٠٤.

(٥) الغنية: فهرست شيوخ القاضي عياض ص٦١.

(٦) أنباه الرواة ج١ ص١٢٧.

(٧) أبو شامة، ص٦٤.

(٨) طبقات المفسرين: السيوطي ص٣٠ وبغية الوعاة ج١ ص٣٥١ وبغية الملتمس ص١٦٣ وشجرة النور الزكية ج١ ص١٠٨.

(٩) طبقات القراء ج١ ص٩٢.

يذكر القراءات والإعراب"[١]، وذكره المهدوي في مقدمة التحصيل قال: "أمر الموفق أطال الله بقاءه للعلوم يرفعها وللمعاني جمعها وللمكارم يصنعها ولعصابة الأدب يذب عنها ويمنعها باختصار كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل... ليكون هذا الاختصار قريب التناول لمن أراد التذكار كما كان الجامع الكبير"[٢]، وذكره حاجي خليفة باسم التفصيل الجامع لعلوم التنزيل في التفسير قال عنه: "هو تفسير كبير بالقول فسر الآيات اولا ثم ذكر القراءات ثم الإعراب وكتب في آخر قواعد القراءات ثم اختصره وسماه التحصيل"[٣]، وقسم المهدوي التفصيل إلى خمسة أبواب من أول السورة يقتطعها إلى آيات الباب الأول: من أحكامها وناسخها ومنسوخها[٤]، الباب الثاني: تفسيرها ومعانيها وغريبها ومشكلها وما يتعلق بذلك[٥]. والباب الثالث: في ذكر ما في سورة النساء من الحروف التي اختلف القراء فيها[٦]. والباب الرابع: في ذكر خفي إعرابها وشرح وجوه قراءاتها[٧]، والباب الخامس: في ذكر موضوع نزولها واختلاف العادين في عددها وتسمية رؤوس آيها[٨]. وهذا التقسيم من حيث المفردات يختلف عن تقسيمه في التحصيل إذ في هذا الأخير قسمه إلى أربعة أقسام: أولا: الأحكام والنسخ، ثانيا: التفسير، ثالثا: القراءات، رابعا: الإعراب، ويأتي بعد ذلك الاختلاف في عدد الآي بدون أن يعطيها عنوانا خاصا. ونجد المهدوي في كتابه التفصيل قد أولى اهتماما بالغا لمبحث القراءات فالقارئ لهذا الجزء يستشف أن هذا كتاب قراءات والتفصيل كالتحصيل من حيث توزيعه فالكتابان لا توجد أجزاؤهما في مكتبة واحدة بل هي مفرقة فهناك جزء من التفصيل بالمكتبة الوطنية بباريس رقم (٢٩٥)، وهي نسخة كتبت بخط مقروء لا خرم فيها ولا بتر، والمجلد الثاني في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم (١٠٠)[٩]، وجزء بخزانة القرويين بفاس رقم (٤٢) يبدأ من مقدمة المؤلف إلى آخر سورة هود[١٠]، ونسخة بالمكتبة الكتبخانية الخديوية[١١]، ذكر فيه أجزاء من نسخ مختلفة بالأرقام التالية: ٧٧ و٧٨ و٧٩ و٣٢٥.

(١) الأعلام ج١ ص.١٨٤.

(٢) انظر: التفصيل، ص١.

(٣) كشف الظنون ج١ ص٤٦٢.

(٤) انظر: التفصيل، ص٨٥.

(٥) انظر: التفصيل، ص١١١.

(٦) انظر: التفصيل، ص١٢٩.

(٧) انظر: التفصيل، ص١٣٨.

(٨) انظر: التفصيل، ص١٥٠.

(٩) فهرس مخطوطا الجامع الكبير.

(١٠) فهرس مخطوطات خزانة القرويين.

(١١) انظر ج١ ص.١٣٦ و١٣٧، ١٣١٠هـ بروكلمان ملحق ١، ٧٣٠.

٣ – التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل:

وهذا الكتاب هو العمدة في هذا المقال، وسبب تأليف هذا الكتاب راجع إلى أن المهدوي لما ألف التفصيل وأظهر في الأندلس قيل لمتولي الجهة التي نزل بها من الأندلس ليس الكتاب له وإذا أردت علم ذلك فخذ الكتاب إليك واطلب منه تأليف غيره ففعل فألف التحصيل وهو كالمختصر منه وإن تغير الترتيب بعض التغيير والكتابان مشهوران في الآفاق سائران على أيدي الرفاق"(١)، وقد بين المهدوي منهجه فقال: "واجعل ترتيب السور مفصلة ليكون أقرب متناول فأقول القول من أول السورة كذا من آيها عشرين أو نحوها بقدر طول الآي وقصرها ثم أقول الأحكام والنسخ فأقولهما ثم أذكر التفسير فأذكره ثم أقول القراءات فأذكرها ثم أقول الإعراب والتوجيه فأذكره ثم أذكر الجزء الذي يليه حتى آتي إن شاء الله تعالى إلى آخر الكتاب على شرطه فيه فأذكر آخر كل سورة وموضوع نزولها واختلاف أهل الأمصار في عدده"(٢)، وكان إذا ضاق به تفسير آية من الآيات وهي تحتاج إلى مزيد من البيان يحيل القارئ إلى كتابه التفصيل بقوله وقد بسطت ذلك في الكبير(٣) نحو ما فعله عند تفسيره للكبائر(٤)، وعند مسألة مسافة القصر في الصلاة(٥) وآية المواريث(٦)، وكقوله "وقد ذكرت جملة من ذلك في الكبير"(٧) أو يحيل إلى التحصيل نفسه كي لا يكرر ما قاله في هذا المبحث في مبحث آخر كقوله وتقدم أصل الشعائر(٨) أو تقدم القول في ذبائح أهل الكتاب(٩)، أو كالقول المتقدم في الوجه(١٠) أو تقدم القول في "جنبا"(١١) أو تقدم القول في أول السورة(١٢) أو كالقول المتقدم في سورة آل عمران(١٣) أو تقدم ذكر النشوز(١٤) أو تقدم مثله(١٥) أو المذكور في الإعراب(١٦) أو تقدم ذكر أحكامها(١٧) أو القول في إعرابه حسب ما تقدم(١٨) أو تقدم في تفسيره(١٩).

---

(١) أنباه الرواة، ج١، ص١٢٦.
(٢) انظر: التحصيل، ص ٢.
(٣) انظر: التحصيل، ص ٥٧٤.
(٤) انظر: التحصيل، ص ١٦٧.
(٥) انظر: التحصيل، ص ٣٥٢.
(٦) انظر: التحصيل، ص ٤٦.
(٧) انظر: التحصيل، ص ٥٤٨.
(٨) انظر: التحصيل، ص٥١٣.
(٩) انظر: التحصيل، ص٥٣٨.
(١٠) انظر: التحصيل، ص٥٦٩.
(١١) انظر: التحصيل، ص٥٩٧
(١٢) انظر: التحصيل، ص٥٧٦.
(١٣) انظر: التحصيل، ص٤٠٣.
(١٤) انظر: التحصيل، ص٤٢٩.
(١٥) انظر: التحصيل، ص٤٥٨.
(١٦) انظر: التحصيل، ص٤٧١.
(١٧) انظر: التحصيل، ص٤٧٦.
(١٨) انظر: التحصيل، ص٤١٧.
(١٩) انظر: التحصيل، ص٤١٧.

٤. شرح الهداية:

في توجيه القراءات السبع، ويقع في مجلدين، حققه حازم سعيد حيدر، وهو كتاب نفس

المبحث الثاني

معالم منهج الإمام المهدوي في التفسير

تمهيد:

يمكننا أن نقسم التفسير إلى قسمين تفسير مأثور(١)، وتفسير غير مأثور وتعمدت التقسيمين ولم أبرحهما إلى الأقسام المتعارف عليها من تفسير نقلي وتفسير عقلي وتفسير مذهبي وتفسير إشاري، فالتفسير المأثور يشمل كل ما أثر من قضايا مصدرية(٢)، ومن قضايا فقهية، بل إن أحد رواد المدرسة الأثرية الإمام الطبري قد استخدم الرأي المحمود(٣) فهو عند ترجيحه يقول: "القول عندنا، والراجح عندنا وأولى القولين، وأولى الأقوال... أما ماعدا المأثور فيدخل فيه الرأي المذموم(٤) والتفسير الإشاري والمرويات الموضوعة، وقسم ابن تيمية التفسير إلى نوعين: ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك إذا العلم إما نقل مصدق وإما استدلال محقق والمنقول إما عن المعصوم وإما عن غير المعصوم"(٥)، والمهدوي من حيث الرواية والأثر صورة لما جاء في جامع البيان مع اختلاف أن المهدوي يختصر السند والمتن، بل نجده يرجح ما رجحه الطبري فتارة يصرح باسمه ففي تفسيره لقوله تعالى: (كلالة) [النساء: ١٢] قال: "قال الطبري الصواب أن الكلالة الذين يرثون الميت من عدا والد وولده"(٦)، ويرجح ما رجحه الطبري بقوله: واختار الطبري"(٧) أو "هو اختيار الطبري"(٨) أو "أنكر ذلك الطبري"(٩).

---

(١) جاء في اللسان: الأثر الخبر والجمع آثار وقوله عز وجل "ونكتب ما قدموا وآثارهم" ١٢ يس أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم ونكتب آثارهم وسنن النبي صلى الله عليه وسلم آثاره: لسان العرب مادة "أثر" ج١ ص٢٥ ويشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم، انظر التفسير والمفسرون: الدكتور محمد حسين الذهبي ج١ ص١٥٤.

(٢) أقصد بالمصطلح المصادر التي يستقي منها المفسر بيانه للنص القرآني وهي: القرآن الكريم ثم السنة النبوية ومن بعدها قول الصحابي ثم التابعي فإن سئل سائل عن أحسن طرق التفسير؟ فالجواب إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في مكان وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له" مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص.٩٣ وقال في موضع آخر فحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال" المصدر نفسه، ص.٩٥.

(٣) عرفه الشاطبي "بأنه الجار على كلام العرب وموافقة الكتاب والسنة" انظر الموافقات: ج٣ ص٤٢١.

(٤) وهو غير الجاري على موافقة العربية وعلى الأدلة الشرعية فهذا الرأي المذموم من غير إشكال" المصدر السابق، ص٤٢٢.

(٥) مقدمة في أصول التفسير ص٥٥.

(٦) انظر: التحصيل، ص٥٥، ٦١.

(٧) انظر: التحصيل، ص٢٥٨.

(٨) انظر: التحصيل، ص٣٧٠ و٤١٠.

(٩) انظر: التحصيل، ص٤٦٣.

أو "ذكر الطبري"[١] أو "ذهب الطبري"[٢]. أما عن الأماكن التي لم يصرح فيها المهدوي باسم الطبري فهي كثيرة يمكن إدراكها من خلال كتابة التحصيل. ويمكننا أن نقسم موضوعات التفسير إلى:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالسنة:

اعتمد المهدوي كغيره من المفسرين الأثريين على بيانات الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم[٣] ومن نماذج ذلك ما ساقه المهدوي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم**﴾ [المائدة: ١٠٥] قال أبو بكر إنكم تقرؤون هذه الآية فتضعونها غير موضعها سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه"[٤].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤] قال المهدوي "إن النبي صلى الله عليه وسلم أومي حيث نزلت هذه الآية إلى أبي موسى الأشعري وقال هم قوم هذا"[٥]، واعتمد المهدوي على فعل النبي صلى الله عليه وسلم في بيان قوله تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا**﴾ [المائدة: ٣٣] قال المهدوي: "هي ناسخة لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بالعرنيين من التمثيل لهم وسلب أعينهم، وتركهم حتى ماتوا"[٦]. واعتمد أيضا على بيانه صلى الله عليه وسلم لبعض ألفاظ القرآن كقوله تعالى: ﴿**سماعون للكذب أكالون للسحت**﴾ [المائدة: ٤٢] فعنه صلى الله عليه وسلم قال: "السحت الرشوة في الحكم"[٧]. إلا أن المهدوي في كثير من المواضع لا يذكر الخبر ويكتفي بقوله مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم[٨] كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ [المائدة: ٣٨] وقد ذكرت الخبر[٩]، أو بقوله "روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم" في

---

(١) انظر: التحصيل، ص٥٢٤.

(٢) انظر: التحصيل، ص٨٢٨.

(٣) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من بين هذا النص من خلق الله لقوله تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)[النحل: ٤٤]، وقوله: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل عليك من ربك)[المائدة: ٦٧]، وقوله: (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه)[النحل: ٦٤]، وعن سعيد بن جبير أنه حدث يوما بحديث عن النبي صلى اله عليه وسلم فقال رجل في كتاب الله ما يخالف هذا؟ قال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعرض فيه بكتاب الله، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بكتاب الله منك". سنن الدارمي المقدمة باب ٤٩ السنة قاضية على الكتاب ج١ ص١٥٤ رقم ٥٩٠، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مجملات العبادة وقيد المطلق وخصص العام.

(٤) انظر: التحصيل، ص٨٢٠.

(٥) انظر: التحصيل، ص٦٩٢.

(٦) انظر: التحصيل، ص٦١١

(٧) انظر: التحصيل، ص٦٧٥.

(٨) انظر: التحصيل، ص٦١٨.

(٩) انظر: التحصيل، ص٦١٨.

تفسيره المسح للمقيم قال المهدوي: "إن المسح للمسافر ثلاث أيام وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم[١]، وقد ذكرت الخبر عن تحقيقي لتفسير المسألة[٢]. أو بقوله و"في الخبر" قال المهدوي عن تفسيره لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا**﴾ [النساء: ٩٤] "وفي الخبر أن الذي قتل دفن فلفظته الأرض ثلاث مرات"[٣]، أو بقوله "نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها والعمتين والخالتين"[٤] لم يذكر المهدوي سند الحديث ولا خبره كاملا رغم صحته وقد أوردته كتب السنة[٥] أو بقوله "إنها نسخت بالخبر الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم بتحريمها"[٦] عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن**﴾ [النساء: ٢٤] وقد ذكرت تخريج الخبر[٧]، وكنت أظن أن المهدوي سيرد على الشيعة الذين أباحوا نكاح المتعة كما رد بعض المفسرين عليهم إلا أنه لم يفعل، أو بقوله "والمذهبان مرويان عن النبي صلى الله عليه وسلم"[٨]، وذلك في القيمة التي يقطع فيها يد السارق ذكر المهـدوي أن أقله ربع دينار ثم ذكر قولا آخر أن أقله عشرة دراهم[٩] وقد جئنا بالخبرين إلا أن خبر "أقله عشرة دراهم" خبر مرسل رواه القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود والقاسم لم يسمع من ابن مسعود[١٠]، ولم يلق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غير جابر بن سمرة[١١]، وحدث عن ابن عمر ولم يسمع منه شيئا"[١٢]، وفي نفس الخبر جاء من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال عنه ابن العربي "ضعيف"[١٣]، وقال ابن حجر "هو أشد في الاضطراب"[١٤]، وقال الذهبي "عمرو بن شعيب لم يخرجا له في الصحيحين فأجادا"[١٥]، وتارة يأتي المهدوي يقول "بالسنة" ولم يأت بالخبر فعند

(١) انظر: التحصيل، ص٥٧٢.

(٢) انظر: التحصيل، ص٦٩٠.

(٣) انظر: التحصيل، ص٣٤٢.

(٤) انظر: التحصيل، ص١٤٨.

(٥) انظر: التحصيل، ص١٣٩ و١٤٠.

(٦) انظر: التحصيل، ص١٣٥.

(٧) انظر: التحصيل، ص١٥٤ و١٥٥

(٨) انظر: التحصيل، ص٦١٨.

(٩) انظر: التحصيل، ص٦١٨.

(١٠) انظر: سنن الترمذي كتاب الحدود باب ١٦ في كم تقطع يد السارق ج٤ ص٤١.

(١١) انظر: جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب أبو خالد، يقال أبو عبد الله له صحبة، سكن الكوفة حدث عنه الشعبي وتميم بن طرفة وغيرهم شهد فتح المدائن قيل توفي سنة ست وسبعين وقيل سنة ست وستين والأول أصح: سير أعلام النبلاء ج٣ ص١٨٦ إلى ١٨٨ رقم ٣٦.

(١٢) انظر: كتاب المراسيل، للرازي، ص١٤٢.

(١٣) انظر: أحكام القرآن ج٢ ص٦٠٨.

(١٤) انظر: فتح الباري ج١٢ ص١٥٤ رقم ٢٦٠.

(١٥) انظر: معرفة القراء الكبار ج١، ص١٥٤.

تفسيره لحد الزنا يقول "تحد المتزوجة بالكتاب وغير المتزوجة بالسنة"[١] من غير أن يذكر النص، ونادرا جدا ما يذكر الخبر كما هو حاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم**﴾ [المائدة: ٣١]، قال المهدوي: "روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الكبائر هي أن تدعو لله ندا وقد خلقك وأن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك وأن تزني بحليلة جارك وتلا "والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) [الفرقان: ٦٨][٢].

وكما اعتمد المهدوي على الأحاديث المرسلة اعتمد الأحاديث الضعيفة، كما هو في مسألة الوضوء مرة واحدة تجزى[٣]، وفي سند الرواية عبد الرحمن بن زيد الحواري العمى متروك وكذاب وغير ثقة وواه وضعيف[٤]، واعتمد أيضا على محمد بن السائب الكلبي من كبار الوضاعين[٥]، ومن الذين قالوا إن عليا لم يمت فإنه يرجع إلى الدنيا وإن يروا سحابة قالوا أمير المؤمنين فيها[٦]، اعتمد عليه المهدوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**﴾ [المائدة: ٥٥]، قال المهدوي: "روي أن عليا أعطى مسكينا خاتما من فضة وهو راكع"[٧]، وهذا العمل منافي للركوع وللخشوع في الصلاة فكيف يكون العبد بين يدي ربه ويقوم بهذه الحركة، وهذا ما جعل الإمام ابن عطية يستنكر ذلك قال: "وفي هذا نظر"[٨]، وقال ابن كثير "لا يحتج به"[٩].

المطلب الثاني: تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

إن من أهم المصادر في فهم النص القرائي بيانات الصحابة رضوان الله عليهم إذ أنهم شهدوا الوحي وواكبوا نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن مسعود: "والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم مني بكتاب الله تناله المطايا لأتيته"[١٠]، وقال علي بن أبي طالب: "سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل أنزلت أنم بنهار أم في سهل أم في جبل"[١١]، وهذا عبد الله بن عباس الذي تشرف بدعاء

(١) انظر: التحصيل، ص١٥٧.

(٢) انظر: التحصيل، ص١٦٧.

(٣) انظر: التحصيل، ص٥٤٨.

(٤) انظر: ميزان الاعتدال ج٢ ص٦٠٥.

(٥) انظر: الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث ص٣٧٣ وميزان الاعتدال ج٣ ص٥٥٣ وكتاب الضعفاء والمتروكين ص١٥١ وسير أعلام النبلاء ج٦ ص٢٤٨ و٢٤٩ رقم ١١١.

(٦) انظر: الكشف الحثيث ص٣٧٤.

(٧) انظر: التحصيل، ص٦٩٣.

(٨) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص١٣٦.

(٩) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٧١.

(١٠) انظر: جامع البيان ج١ ص٨٠، مقدمة في أصول التفسير ص٩٦ البرهان في علوم القرآن ج٢ ص١٥٧.

(١١) انظر: الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص٢٠٤.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم علمه الحكمة"(١)، وفي رواية "اللهم علمه تأويل القرآن"(٢) والرواية المشهورة "اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل"(٣)، وكان يسميه عبد الله بن مسعود "ترجمان القرآن"(٤)، واشتهر منهم بالتفسير عشرة الخلفاء الأربعة وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير"(٥).

وقد ذكر الدكتور الذهبي دراسة تاريخية لهؤلاء والتابعين"(٦)، وقد اعتمد المهدوي على هؤلاء وغيرهم من الصحابة الكرام وكان يكثر من أقوال عائشة رضي الله عنها وابن عباس في جل القضايا المتعلقة بوضوح آيات الأحكام والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وبيان الألفاظ الغريبة، والذي يؤخذ على المهدوي أنه يأتي بروايات الصحابة في المسألة وتبدو متضاربة ولا يرجح بينها بل يأتي بأقوال الصحابي الواحد في المسألة الواحدة ويتركها بدون ترجيح وهاك نموذجا من ذلك في حكم الرضاع استشهد بقول عائشة أن الذي يحرم خمس رضعات وفي قول ثان سبع رضعات وفي قول ثالث عشر رضعات(٧)، وقد رجحنا الحكم من بعض المصادر(٨). واعتمد المهدوي على الصحابة في مبحث القراءات غير أن معظم هذه الاعتمادات كانت قراءات شاذة وهذه نماذج من ذلك.

منها قوله تعالى: ﴿**وخلق الإنسان ضعيفا**﴾ [النساء: ٢٨] مسمى الفاعل قرأها ابن عباس(٩)، وقوله تعالى: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه**﴾ [النساء: ٣١] قرأ ابن مسعود "إن تجتنبون كبير ما تنهون عنه"(١٠)، وقوله تعالى: ﴿ **إلا من ظلم** ﴾ [النساء: ١٤٨] قرأ ابن عباس "ظلم" مسمى الفاعل(١١)، وقوله تعالى: ﴿**أن يصدقوا**﴾ [النساء: ٩٢] قرأ ابن مسعود "يتصدقوا"(١٢).

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال التابعين:

يأتي قول التابعي بعد قول الصحابي إذ الأول تلقى عن الثاني وما علموه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أخذوه عن أهل الكتاب وما اجتهدوا فيه انطلاقا من فهمهم لأساليب لغة القرآن وقد اشتهر منهم خلق

(١) انظر: الإصابة ج٤ ص٩٠ والإتقان ج٤ ص٢٠٥.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٣٤.
(٣) انظر: المصدر نفسه ص٣٣٩ وفي رواية ساقها ابن الجزري "اللهم علمه التأويل والفقه" طبقات القراء ج١ ص٤٢٦.
(٤) انظر: مقدمة في أصول التفسير ص٩٧ والمحرر الوجيز ج١ ص١٨ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣ و٤ والإتقان ج٤ ص٢٠٥.
(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص٢٠٤.
(٦) انظر: التفسير والمفسرون ج١ ص٦٤ – إلى ١٣٣.
(٧) انظر: التحصيل، ص١٤٢.
(٨) انظر: التحصيل، ص١٤٣.
(٩) انظر: التحصيل، ص٢٠٤، مختصر في شواذ القرآن٢٥.
(١٠) التحصيل ص٢٠٠ وهي قراءة شاذة انظر مختصر في شواذ القرآن ص٢٥.
(١١) انظر: التحصيل ص٤٧٩ وانظر: المحتسب ج١ ص٢٠٣ ومختصر في شواذ القرآن ص ن٤٧٩.
(١٢) انظر: التحصيل، ص٣٨٥، ومختصر في شواذ القرآن ص٢٨.

كثير في علم التفسير وبرز منهم مجاهد قال سفيان الثوري: "إذا جاء التفسير من مجاهد فحسبك"(١)، وفي رواية: أن مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الألواح قال: فيقول له ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله(٢)، وقال مجاهد عن نفسه: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية منه وأسأله عنها"(٣)، ومحمد بن كعب القرظي كان رجلا صالحا عالما بالقرآن من أئمة التفسير(٤)، وقتادة قدوة المفسرين، وسعيد بن جبير كان جهبذ العلماء(٥)، ولم يكن مثله من تلاميذ ابن عباس(٦)، قال عنه سفيان الثوري: "خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك(٧)، والحسن البصري فقد سئل عن القرآن ففسره كله على الإثبات(٨)، وكان أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعكرمة وطاووس وسعيد بن جبر وغيرهم"(٩) وبالإضافة إلى مدرسة ابن عباس هناك مدرسة المدينة(١٠) ومدرسة العراق(١١).

ومن التابعين الذين اعتمد عليهم المهدوي في التحصيل مجاهد وأبي صالح وابن المسيب والزهري والحسن وغيرهم، وكان اعتماده عليهم في كل مباحث التحصيل في الأحكام وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وفي بيان الألفاظ ومعانيها، وكان تعامله مع تفسيرات هؤلاء الأخيار تعامل الناقل فقط بدون أن يرجح بين أقوالهم أو بين صحيحها من سقيمها وهذا مبثوث في كل المباحث نقيض ما قام به الطبري في ترجيحات لهذه الأقوال وعجبت للمهدوي أن أهم مصدر تفسيري له هو جامع البيان في تفسير آي القرآن إلا أنه لم يتأثر به في تمحيصه للروايات، واعتمد المهدوي أيضا على قراءات بعض التابعين كالحسن والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد خاصة في بيان شواذ القراءات.

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير ص١٠٣ والإتقان في علوم القرآن ج٤ ص٢١٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤.

(٣) انظر: مقدمة في أصول التفسير ص١٠٢ والإتقان في علوم القرآن ج٤ ص٢١٠.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٦٧.

(٥) انظر: المصدر نفسه ج٤ ص٣٣٣.

(٦) انظر: المصدر نفسه ص٣٤١.

(٧) انظر: الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص٢١١.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء ج٤ ص٥٨١.

(٩) انظر: مقدمة في أصول التفسير ص٦١ والإتقان في علوم القرآن ج٤ ص٢١٠.

(١٠) قام بها أبي بن كعب ومن تلاميذها: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم، انظر التفسير المفسرون ج١ ص١١٦ إلى ١١٩.

(١١) قام بها عبد الله بن مسعود ومن تلاميذها علقمة بن قيس ومسروق بن الأجدع الكوفي والأسود بن يزيد ومرة الهمداني وعامر الشعبي والحسن البصري وقتادة: انظر المصدر السابق: ج١ ص١٢٠ إلى ١٢٨.

وهذه نماذج من ذلك. قرأ الأعمش والنخعي قوله تعالى: ﴿**فسوف نصليه نارا**﴾ [النساء: ٣٠] بفتح النون(١)، وهي قراءة شاذة(٢)، وقرأ الحسن قوله تعالى: ﴿**بالبخل**﴾ [النساء: ٣٧] بضم اللام(٣)، وقرأ النخعي: ﴿**وأنتم سكارى**﴾ [النساء: ٤٣] بسكرى(٤) بفتح السين(٥)، وقوله تعالى: ﴿**تعالوا**﴾ [المائدة: ١٠٤]، قرأها الحسن وقتادة تعالوا بضم اللام(٦)، وقوله تعالى: ﴿**وكلم الله** موسى تكليما﴾[النساء: ١٦٤] قرأها النخعي بنصب اسم الجلالة(٧)، وقوله تعالى: ﴿سيحشرهم﴾ [النساء: ١٧٢]، قرأها الحسن بالنون بدل الياء(٨)، وقوله تعالى: ﴿الذين يخافون﴾ [المائدة: ٢٣] قرأها سعيد بن جبير ومجاهد بضم الياء(٩)، وقوله تعالى: ﴿فطوعت﴾ [المائدة: ٣٠] قرأها الحسن فطاوعت"(١٠)، وقوله تعالى: ﴿يا ويلتاه﴾ [المائدة: ٣١] قرأها الحسن بكسر التاء(١١)، وقوله تعالى: ﴿وأنتم حرم﴾ [المائدة: ١]، قرأها الحسن والنخعي بإسكان الراء(١٢)، وقوله تعالى: ﴿على النصب﴾ [المائدة: ٣] قرأها الحسن وابن صالح بضم النون وسكون الصاد(١٣)، وقوله تعالى: ﴿متجانف﴾ [المائدة: ٣] قرأها النخعي "متجنف"(١٤).

المطلب الرابع: تفسير القرآن ببيان أسباب النزول:

لا تجد في تراثنا التفسير من المفسرين من أغفل هذا العلم(١٥) بل هو القلب النابض للوقوف على الآية التي نزلت لسبب ولعلم سبب النزول فوائد كثيرة وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التاريخ ومن فوائده الوقوف

(١) انظر: التحصيل ص٢٠٠.

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص٢٥ وإتحاف فضلاء البشر ج١ ص٥٠٩.

(٣) التحصيل ص٢٠٠ وانظر مختصر في شواذ القرآن ص٢٦.

(٤) انظر: التحصيل ص٢٦٨.

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص٢٦.

(٦) انظر: التحصيل ص٢٦٨ وانظر المحتسب ج١ ص١٩١.

(٧) انظر: التحصيل ص٤٧٩.

(٨) انظر: التحصيل ص٤٨٣، وانظر: مختصر في شواذ القرآن ص٣٠

(٩) انظر: التحصيل ص٦٥٣، ومختصر في شواذ القرآن ص٣١.

(١٠) انظر: التحصيل ص٦٥٣، ومختصر في شواذ القرآن ص٣١ وقال النحاس "وهذا بعيد". إعراب القرآن ج٢ ص١٧.

(١١) انظر: التحصيل ص٦٥٥.

(١٢) انظر: التحصيل ص٥٩٠، وانظر: مختصر في شواذ القرآن ص٣٠

(١٣) انظر: التحصيل ص٥٩٥، وانظر: مختصر في شواذ القرآن ص٣١.

(١٤) انظر: التحصيل ص٥٩٦، وانظر: مختصر في شواذ القرآن ص٣١.

(١٥) كتب فيه خلق كثير منهم الواحدي في كتابه أسباب النزول والسيوطي في كتابه لباب النفول والأجهوري في كتابه إرشاد الرحمن في أسباب النزول مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٢٠ رمز التفسير وقد قرأته بالدار نفسها، ومن المعاصرين الدكتور عبد الفتاح القاضي في كتابه: أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين والدكتور حمادة عبد الخالق في كتابه أسباب النزول ومقبل بن هادي الوادعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول والباحث مناري عز الدين في "أسباب النزول وأثرها في فهم معاني القرآن: وقد

على المعنى أو إزالة الأشكال[١] كقوله تعالى: ﴿**لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم**﴾ [آل عمران: ١٨٧]، أخرج الترمذي: "أن مروان بن الحكم قال: اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون. قال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية إنما أنزلت هذه في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه**﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وتلا: ﴿**لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا**﴾ قال ابن عباس سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره وقد أخبروه بما قد سألهم عنه فاستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم وما سألهم عنه"[٢].

ومن فوائده أيضا: معرفة وجه الحكمة الباعثة على التشريع نحو ما نزل بشأن تحريم الخمر[٣]، ومنها: معرفة اسم من نزلت فيه الآية كقوله تعالى: ﴿**والذي قال لوالديه أف لكما**﴾ [الأحقاف: ١٧] قال مروان: "إن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري"[٤]، وفي رواية قالت عائشة: "كذب مروان"[٥]، وفي رواية أخرى قالت عائشة: "لو شئت أن أسميه لسميته، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه"[٦].

والعلم بسبب النزول يورث العلم بالمسبب ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه وما هيجها وآثارها[٧]، ولا يحل القول في هذا العلم إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب[٨].

وكما ذكرت في بداية هذا المبحث أن كل المفسرين قد اعتمدوا الرواية لأسباب النزول راجحها ومرجوحها إلا أن من منهم من يرجح الراجح ويبين المرجوح مثل ما قام به الإمام الطبري في جامع البيان وابن عطية في المحرر الوجيز والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن.

حصل بها الباحث على درجة الماجستير بجامعة الإسكندرية كلية الآداب قسم اللغة العربية شعبة الدراسات الإسلامية تحت إشراف الأستاذ الدكتور الشحات السيد زغلول سنة ١٩٨٩ بالإضافة إلى أن كل علوم القرآن قديمها وحديثها قد خصصت بابا لهذا العلم.

(١) انظر: لباب النقول ص١.

(٢) سنن الترمذي كتاب التفسير باب ٤ ج٥ ص٢١٦ رقم ٣٠١٤.

(٣) انظر أحكام القرآن: ابن العربي ج٢ ص٦٦٨.

(٤) صحيح البخاري كتاب التفسير باب ١ الآية ١٨٨ ج٨ ص.٤٣٩ رقم ٤٨٢٧.

(٥) فتح الباري ج٨ ص٤٤٠.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) مقدمة في أصول التفسير ص٤٧.

(٨) أسباب النزول الواحدي ص٣.

وهذا ما لم نلمسه عند المهدوي عند تعدد الأسباب يأتي بها كلها بدون ترجيح وهذا لا يمنع أن الشيخ لم يعتمد الرواية الراجحة بل اعتمد، وسنعطي أمثلة لذلك لكن تعليقي عليه عند تعدد السبب، وهذه نماذج من ذلك فعند تفسير لقوله تعالى: ﴿**لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**﴾ [المائدة: ٤١] قال "قيل نزلت في أبي لبابة... وقيل نزلت في عبد الله بن صوريا"(١) من غير أن يرجح وكان بإمكانه ذلك لأن القول أن الآية نزلت بسبب أبي لبابة قول ضعيف لأن أبا لبابة من الفضلاء(٢)، وقد رد ابن العربي على من قال أن الآية نزلت بسبب أبي لبابة "والقول الذي قيل في أبي لبابة ضعيف لا أصل له"(٣).

واستعمال قيل في رواية المهدوي كثير فعند قوله تعالى: ﴿**من يخرج من بيته مهاجرا**﴾ [النساء: ١٠٠] قال: "... قيل هو ضمرة بن العيص وقيل العيص بن ضمرة وقيل ضمرة بن خزاعة وقيل ضمرة بن نعيم"(٤)، بل لا يرجح ولو كانت الرواية صحيحة فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فمالكم في المنافقين فئتين**﴾ [النساء: ٨٨] ساق المهدوي أقوالا في سبب نزول الآية أسند بعضها ولم يسند البعض الآخر(٥)، ولم يرجح غير أن رواية زيد بن ثابت قد ذكرها وهي أصح الروايات واعتمدها مجموعة من العلماء(٦)، ونماذج أخرى على هذا النسق(٧) إلا أنه في بعض الآيات يذكر الرواية الراجحة التي كانت سببا لنزولها نحو قوله تعالى: ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾ [النساء: ١١] قال المهدوي فقد نزلت في سعد بن الربيع(٨)، وهي رواية صحيحة(٩)، ومنها قوله تعالى: ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر**﴾ [النساء: ٩٥] قال المهدوي: "إن ابن أم مكتوم شكا زمانته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن سمع قوله تعالى: ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله**﴾ وهي رواية صحيحة(١٠).

---

(١) انظر: التحصيل ص٦٧٣.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص١٠٢.

(٣) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي ج٢ ص٦٢٠.

(٤) انظر: التحصيل ص٣٢٨.

(٥) انظر: التحصيل ص٣٧٢.

(٦) انظر: أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب الآية ٨٨ النساء ج٨ ص١٠٤ رقم ٤٥٨٩، ومسلم في صحيحه كتاب صفة المنافقين وأحكامهم ج١٧ ص١٣٣.

(٧) انظر: التحصيل ص٤١٨، عند قوله تعالى: "وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا" النساء ١٢٨ وص٥١٧. عند قوله تعالى: "ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام" المائدة ٢ وص٣٣٦. عند قوله تعالى: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاء جهنم خالدا فيها" النساء ٩٣.

(٨) انظر: التحصيل ص٣٧٩.

(٩) انظر: انظر أحكام القرآن: ابن العربي ج٥ ص١٠٨.

(١٠) انظر: التحصيل ص٣٧٩.

المطلب الخامس: بيان الناسخ والمنسوخ:

يعتبر علم الناسخ والمنسوخ من أهم القواعد التي تساعد على تفسير القرآن الكريم إذ لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ(١)، وقال ابن عبد البر: "ليس من العلوم كلها علم واجب على العلماء وعلى المعلمين وعلى كافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه لن الأخذ بناسخه واجب فرض والعمل به واجب لازم ديانة، والمنسوخ لا يعمل به ولا ينتهي إليه(٢)، فالواجب على كل عالم علم ذلك لئلا يوجب على نفسه ولا على عباد الله أمرا لم يوجبه الله أو يضع عنها فرضا أوجبه الله"(٣)، ونعلم قصة علي بن أبي طالب حين دخل المسجد فإذا رجل(٤) يخوف الناس فقال ما هذا قالوا رجل يذكر الناس ولكنه يقول أنا فلان بن فلان فاعرفوني فأرسل إليه أتعرف الناسخ والمنسوخ فقال لا. قال فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه"(٥)، وفي رواية أخرى عن علي "انتهى إلى رجل يعظ الناس فقال: أعلمت الناسخ والمنسوخ فقال: لا، قال: هلكت وأهلكت(٦).

فهذه الأقوال دالة على أهميته هذا العلم لمن أراد أن يبين بعضا من آيات الله العزيز، ولا مجال أن نتحدث عن التقسيمات الخمسة التي ساقها العلماء بالنسبة للنسخ فيما يتعلق بنسخ القرآن للقرآن وهذا قد اتفق عليه الجميع واختلفوا في نسخ السنة له والتقسيم الثالث نسخ القرآن للسنة والقسم الخامس سكوت بعضهم(٧) كما تحدث العلماء عن نسخ الحكم دون الخط ونسخ الخط دون الحكم ونسخهما معا(٨) قال النحاس: "فمن المتأخرين من قال ليس في كتاب الله عز وجل ناسخ ولا منسوخ وكابر العيان واتبع غير سبيل المؤمنين"(٩) كيف يجرؤ هؤلاء على هذا الحكم وقد أفرد لهذا العلم جهد كبير من قبل علمائنا(١٠) ألم يقرأ هؤلاء أن ابن عباس فسر قوله تعالى: ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا**﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: "المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ..."(١١).

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن ج٣ ص٥٩.

(٢) انظر: ولا ينبغي أن نعمم عدم العمل بالمنسوخ إذ نتعبد بالمنسوخ حكما وبقاء خطه وأقصد بالتعبد قراءته والصلاة به.

(٣) انظر: جامع بيان العلم ج٢ ص٢٨.

(٤) انظر: والرجل هو عبد الرحمن بن دأب صاحب أبي موسى الأشعري انظر الناسخ والمنسوخ، ابن سلامة ص٦.

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ: النحاس ص٧.

(٦) انظر: انظر المصدر نفسه.

(٧) انظر: تفصيل هذه الأقسام مع أمثلة لكل قسم، الناسخ والمنسوخ: النحاس ص٨ و٩ والإتقان في علوم القرآن ج٣ ص٦٠ إلى ٦٣ والرسالة: الشافعي: الأرقام التالية: ٣١١ و٣٤٥ و٣٥٩ و٤٢٠ و٦٠١ و٦٠٣ و٦٠٤ و٦١٦ والموافقات ج.٣ ص.١٠٢ إلى ١١٨.

(٨) انظر: الناسخ والمنسوخ: ابن سلامة، ص١٢ إلى ١٤ ومناهل العرفان: ج٢ ص١٩٦.

(٩) انظر: الناسخ والمنسوخ النحاس ص٥.

(١٠) انظر: منهم أبو عبيدة القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأب جعفر النحاس وقتادة بن دعامة السدوسي وأبو بكر ابن الأنباري ومكي بن قيس وابن سلامة وابن العربي. هذا الجهد كله وقد طلع علينا في هذا الزمان من أنكر هذا العلم وجحد كعبد المتعال جبر الذي ألف كتابا تحت عنوان لا نسخ في القرآن وقد قرات هذا الكتاب فلم أجد فيه أدلة شافية تثبت زعمه. وأعجبني الشيخ عبد العظيم الزرقاني حين رد على أولئك المانعين لهذا العلم كما سررت بمؤلف الدكتور مصطفى زيد تحت عنوان النسخ في القرآن الكريم وهو في مجلدين وقد طبعته ونشرته دار الوفاء بالمنصورة بمصر.

(١١) انظر: الناسخ والمنسوخ: النحاس ص٨ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٢٢.

وحينما نقول بالنسخ والمنسوخ يجب أن نمحص ذلك حتى لا نقع في كثرة استعمالات هذا العلم في غير المكان المناسب لها وهذا ما جعل بعض العلماء ينتقدون هذه الكثرة المستعملة للنسخ، وقبل أن ندرج نماذج لذلك أريد أن أقف على مفارقة كبيرة بين المهدوي وقتادة في سورتي النساء والمائدة وما قاله مجاهد في سورة المائدة من حيث النسخ فعند قراءتي للتحصيل وجدت صاحبه يقول بالنسخ في كثير من الحالات ووجدت قتادة حصر النسخ في سورة النساء في أربعة مواضع:

الأول: قوله تعالى: ﴿**وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا**﴾ [النساء: ٨] نسخت بآية المواريث(١).

الثاني: قوله تعالى: ﴿**واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم**﴾ [النساء: ١٥] نسخت بآية النور ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ [النور: ٦](٢).

الثالث: قوله تعالى: ﴿**والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا**﴾ [النساء: ٣٣] نسخت بقوله تعالى: ﴿**وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم**﴾ [الأنفال: ٧٥](٣).

الرابع: قوله تعالى: ﴿**إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**﴾ [النساء: ٩٠] نسخت بقوله تعالى: ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد**﴾ [التوبة: ٥](٤) في حين أن المهدوي جعلها في ست عشرة آية(٥)، وسورة المائدة جعلها قتادة في ثلاثة آيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**﴾ [المائدة: ٢] نسخت بقوله تعالى: ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ [التوبة: ٥](٦).

والثانية: قوله تعالى: ﴿**ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح**﴾ [المائدة: ١٣] نسخت بقوله تعالى: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وهم صاغرونا**﴾ [التوبة: ٢٩](٧).

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله العزيز: قتادة بن دعامة السدوسي ص٣٨.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله العزيز ص٣٩.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله العزيز ص٤٠.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله العزيز ص٤٠.

(٥) هي الآيات: (٢، ٣، ٦، ٨، ١١، ١٥، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٣٣، ٤٣، ٤٨، ٩٠، ١٠١).

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله العزيز ص٤١.

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله العزيز ص٤١.

والثالثة: ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ [المائدة: ٤٢] نسخت بقوله تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله**﴾ [المائدة: ٤٨][١]، وقال مجاهد لم ينسخ من المائدة إلا هاتان الآيتان قوله تعالى: ﴿**لا تحلوا شعائر الله ولا الهدي ولا القلائد**﴾ [المائدة: ٢] نسختها قوله تعالى: ﴿**اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ [التوبة: ٥][٢]، والآية الثانية قوله تعالى: ﴿**وإن جاؤوك فاحكم بينهم**﴾ ([المائدة: ٤٢] نسخها قوله تعالى: ﴿**وإن احكم بينهم بما أنزل الله**﴾[٣]، وفي رواية أخرى عن مجاهد لم ينسخ منها إلا القلائد[٤]، وقال الحسن: "أن لا منسوخ في سورة المائدة"[٥]، وعن عائشة قالت: المائدة من آخر السور نزولا فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فاستحرموه"[٦] إلا أن المهدوي جعل النسخ في خمس آيات[٧]، وقد جعل النسخ للعادات الجاهلية فعند قوله تعالى: ﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾ [النساء: ٣]. فقد روى عن الضحاك والحسن أن الآية ناسخة لما كان في الجاهلية وفي أول الإسلام أن الرجل يتزوج ما شاء من الحرائر فقصرتهم الآية على الأربع[٨]، وهذا ليس نسخا إذ تعريف النسخ من حيث المصطلح "هو نسخ الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر"[٩]، وما كان في الجاهلية ليس خطابا شرعيا وكذا ما كان يعمله الناس في بداية الإسلام بل كان على المهدوي أن يشير أن الآية جاءت لعلاج مرض كان متفشيا في الجاهلية كغير من الأمراض الاجتماعية التي جاء الوحي الكريم فعالجها وعند قراءتي لمجموعة من المصادر التفسيرية للآية لم أجد أحد مؤلفيها قال بالنسخ بل اكتفوا بذكر الحدث عند تفسيرهم للآية فعن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفي[١٠] أسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهم أربعا وفارق سائرهن"[١١]، ومن الآيات التي قال فيها المهدوي بالنسخ والمنسوخ وهي مردودة عليه: قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**﴾ [النساء: ٤٣] نسخها قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا**

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله العزيز ص٤٢.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله العزيز ص٤١.

(٣) انظر: أحكام القرآن الجصاص ج٢ ص٣٠٦.

(٤) انظر: انظر الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٤٢.

(٥) انظر: أحكام القرآن: الكيا الهراسي ج٢ ص١١٨.

(٦) انظر: أحكام القرآن: الجصاص ج٢ ص٤٩١.

(٧) انظر: المائدة ٢ والمائدة ٦ والمائدة ١٣ والمائدة ٣٣ والمائدة ١٠٥.

(٨) انظر: التحصيل ص١٢.

(٩) انظر: الموافقات ج٣ ص١٠٧.

(١٠) انظر: غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك الثقفي أبو عمر أسلم بعد الفتح، ذكر ابن حجر قصته الموجودة في متن المهدوي" انظر الإصابة ج٥ ص١٩٢ إلى ١٩٤ رقم ٦٩١٨.

(١١) انظر: سنن الترمذي: رقم الحديث ١١٢٨.

قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ [المائدة: ٦][١]، وقد رد ابن العربي هذا القول "أما هذه الآية فلا يصح نسخها بحال لأن التكليف مقرون بصحة العقل والصلاة من أجل وظائف التكليف... وأما من قال أنه نسخها الآية السادسة من سورة المائدة فقول ضعيف"[٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿**إذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة**﴾ [النساء: ١٠١]، قال المهدوي: "كان النسخ بفعل النبي صلى الله عليه وسلم"[٣] إلا أن النحاس قال: لم يصح عندي أنها ناسخة ولا منسوخة، ولا ذكرها أحد من المتقدمين"[٤].

ومنها: قوله تعالى: ﴿**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة**﴾ [النساء: ١٧] أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به**﴾ [النساء: ١١٦][٥]، قال ابن عطية: "إنما يضعف القول بالنسخ من حيث تتبنى الآيتان (١٧ و ١٨) من سورة النساء، ولا يحتاج إلى تقرير نسخ؛ لأن هذه الآية لم تنف أن يغفر للعاصي الذي لم يتب من قريب"[٦]، ووجه النسخ غير ظاهر[٧].

ومنها: قوله تعالى: ﴿**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾ [النساء: ٢] قال المهدوي: نسخها قوله تعالى: ﴿**وإن تخالطوهم فإخوانكم**﴾ [البقرة: ٢٢٠][٨]، نفى النحاس أن يكون في الآية نسخ ومنسوخ[٩]، وبرهن الدكتور مصطفى زيد ذلك[١٠].

ومنها: قوله تعالى: ﴿**من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف**﴾ [النساء: ٦] قال المهدوي نسخ الله منها الظلم والاعتداء[١١]، وبقوله تعالى: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً**﴾ [النساء: ١٠]. قال ابن العربي: "من قال أنه منسوخ فهو بعيد لا أرضاه لن الله يقول: "فليأكل بالمعروف وهو الجائز الحسن وقال: "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما".

---

(١) انظر: التحصيل ص٥٤٧.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ ج٢ ص١٧٤ وانظر البحر المحيط ج٣ ص٢٥٤.

(٣) انظر: التحصيل ص٣٤٧.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ ص١٠٨.

(٥) انظر: التحصيل ص٦٥.

(٦) انظر: المحرر الوجيز ج٤ ص٥٦.

(٧) انظر: النسخ في القرآن الكريم: الدكتور مصطفى زيد ج١ ص٤٣٢ إلى ٤٣٤.

(٨) انظر: التحصيل ص٦.

(٩) انظر: الناسخ والمنسوخ ص٥٣.

(١٠) انظر: النسخ في القرآن الكريم ج٢ ص٦٧٦.

(١١) انظر: التحصيل ص٢٧.

فكيف ينسخ الظلم بالمعروف؟ بل هو تأكيد له في التجويز لأنه خارج عنه مغاير له وإذا كان المباح غير المحظور لم يصح دعوى النسخ فيه"(١). وقد شارك المهدوي بعض العلماء في قوله النسخ في بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿**والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم**﴾ [النساء: ٣٣]، وهي منسوخة بالفرائض وهو قول ابن عباس والثوري والأوزاعي ومالك والشافعي واحمد بن حنبل(٢) إلا أن النحاس قال بإحكامها وعلل ذلك(٣). ومنها: قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت**﴾(٤) قال المهدوي فالآية عند أكثر العلماء منسوخة(٥)، ومن هؤلاء العلماء ابن عباس وزيد بن أسلم وأبو حنيفة والشافعي ومالك(٦). وفي مواضع أخرى ينقل المهدوي أقوال العلماء في الآية سواء قالوا إنها منسوخة أم محكمة إلا أنه لم يرجح بين هذه الأقوال كقوله تعالى: ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين**﴾ [النساء: ١١] قال المهدوي: "عن ابن عباس هي منسوخة وعن سعيد بن جبير هي محكمة على الندب وعن مجاهد هو شيء واجب"(٧)، وأكد ابن حجر أن الآية ما نسخت قال: "وإن الناس يزعمون أن هذه الآية نسخت لا والله ما نسخت ولكن مما تهاون الناس بها"(٨). وتارة يرفض المهدوي النسخ إذا كان خبرا فعند قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به**﴾ [النساء: ٤٨] قال المهدوي: "ذهب البعض أن هذه الآية ناسخة للتي في آخر الفرقان(٩)، والنسخ في الأخبار مستحيل"(١٠)، وقد ذكرت جملة من الأقوال للعلماء في عدم الأخذ بالنسخ في الأخبار(١١).

المطلب السادس: موقفه من الإسرائيليات:

يعتبر هذا الموضوع من الموضوعات التي أسرف فيها بعض المفسرين ولعل ذلك راجع إلى لأهل الكتاب(١٢) من يهود ونصارى والأخذ من هؤلاء والاعتماد عليهم في رواياتهم أمر خطير يحتاج إلى مؤسسات تعليمية أكاديمية لتنقية هذه التفاسير من كلامهم ما عدا ما كان رواية تاريخية تتمشى والمسار الصحيح لنصوصنا الشرعية، أما غير

(١) أحكام القرآن ج١ ص٣٢٥. والناسخ والمنسوخ ج٢ ص١٤٣.

(٢) انظر: التحصيل ص١٧٥، الناسخ والمنسوخ، لابن سلامة ص١٣٤، نواسخ القرآن ص١٣٤.

(٣) الناسخ والمنسوخ ص١٠٢.

(٤) الناسخ والمنسوخ ص.١٠٢.

(٥) التحصيل ص٨٢٤.

(٦) جامع البيان ج٧ ص١٢٧.

(٧) التحصيل ص٤٢.

(٨) فتح الباري ج٨ ص٩٠.

(٩) الآية ٧٠

(١٠) التحصيل ص٢٤٣.

(١١) المصدر نفسه ص٢٧٥.

(١٢) ويقصد نصوصهم التوراتية التي حملها بعض من أسلم منهم كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب ابن منبه وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. خاصة وأن التوراة والإنجيل قد اشتملتا على بعض القصص كما هو في القرآن كقصص الأنبياء.

ذلك فلا وهذا ما جعل بعض العلماء يقسمون هذه الروايات عن بني إسرائيل إلى أقسام ما يؤخذ منها وما يرد ومنها المسكوت عنه قال ابن تيمية: "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فإنها ثلاثة أقسام. أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما شهد له بالصدق فذاك صحيح والثاني: ما علمنا كذبة بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته"(١)، ومن هذا النوع الأخير لون كلب أهل الكهف وعصا موسى من أي شجرة وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى.

فهذا وغيره من مثيله لا يهمنا في أمر ديننا ولسنا مكلفين بتبيانه ومن ثم فلا نبحث عنه، ونجد النهي عن الأخذ عن هؤلاء أشد من إباحته، فمن النصوص المرخصة للأخذ عنهم قوله صلى الله عليه وسلم "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليبتوا مقعده من النار"(٢)، ورغم هذا الترخيص فالنص مقيد بعدم الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحمل دلالة تتجلى في معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النهل من معين أولئك – أي أهل الكتاب ومعنى هذا الخبر – حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج – الحديث عنهم بما يخبرون به عن أنفسهم وقصصهم لا بما يخبرونه به عن غيرهم لأن أخبارهم عن غيرهم مفتقرة إلى العدالة والثبوت إلى منتهى الخبر"(٣) في حين نجد التشديد صريحا، فعن ابن عباس قال: "كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤونه محضا ولم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا"(٤)، لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم"(٥)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أزل إلينا وما أنزل إليكم"(٦)، وأكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحا(٧)، وعن عبد الله بن مسعود قال: "لا تسألوا أهل

(١) مقدمة في أصول التفسير ص١٠٠ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٠.

(٢) سنن الدارمي كتاب المقدمة باب ٤٦ البلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليم السنن ج١ ص١٤٥ رقم ٥٤٢.

(٣) أحكام القرآن: ابن العربي ج١ ص٢٣.

(٤) لقوله تعالى: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) [البقرة: ٧٩].

(٥) صحيح البخاري كتاب الاعتصام باب ٢٥ قول النبي صلى الله عليه وسلم " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء" ج١٣ ص٣٤٥ رقم ٧٣٦٣.

(٦) المصدر نفسه رقم الحديث ٧٣٦٢.

(٧) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤١٦.

الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق، أو تصدقوا بباطل فإنه ليس احد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال"(١)، روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أمسك مصحفا قد تشرمت حواشيه، فقال: ما هذا؟ قلت: جزء من التوراة فغضب وقال: والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي"(٢).

وقد كنت دائما أردد سؤالا لم ملئت كتب التفسير بهذه الروايات الإسرائيلية ونعلم أنها لا تنفعنا في ديننا ولا دنيانا؟! وكنت آمل أن تتضافر جهود الغيورين على التراث التفسيري لإزالة هذه الروايات من كتبر التفسير. وسأعرض لنماذج منها وسنلاحظ أن المهدوي لم يخل تفسيره منها بل سلمها من غير أن يمحصها إلا أن من إيجابياته في هذا الموضوع أنه لا يذكر الرواية الإسرائيلية مطولة بل يختصرها اختصارا فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين**﴾ [المائدة: ٢٧] قال المهدوي عن هذه القصة، "لم يدر كيف يقتله حتى علمه إبليس فوجده قائما فشدخ رأسه بحجر فندم فجلس يبكي عند رأسه إذ أقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له فدفنه ففعل قابيل بأخيه كذلك"(٣) في حين نجد روايات في هذا السياق منها لما قتل قابيل هابيل اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه... ولعن آدم الأرض فمن أجل ذلك لا تنشف الأرض دما بعد دم هابيل إلى يوم القيامة وأن قابيل حمل هابيل سنة في جراب على عنقه حتى انتن وتغير..."(٤)، كلام لا يقبل نصا ولا عقلا فمن حيث النص أنه لو كان كذلك لجاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومادام لم يبينه فهو كلام مردود، أما عقلا فكيف يحمل الإنسان الإنسان سنة كاملة على جراب ولم يصب هذا الجسم بتلاشي. وذكر ابن كثير كلاما طويلا في القصة(٥)، ومن الروايات الإسرائيلية التي أخذها بها المهدوي ما نزل على المائدة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وإذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا وتكون عليها من الشاهدين**﴾ [المائدة: ١١٢، ١١٣] قال "نزل عليها قرصة من شعير وأحوات وقيل عليها سبعة أرغفة وسمكة مشوية... وإن عيسى نادى السمكة، وأن المائدة لا تنقضي إذا أكل منها وأنها كان لا يأكل منها ذو عاهة إلا شفي..."(٦)،

(١) المصدر نفسه.

(٢) أحكام القرآن، لابن العربي ج١ ص٢٣.

(٣) التحصيل ص٦٤٠.

(٤) الدر المنثور ج١ ص٢٧٠.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤١ إلى ٤٦.

(٦) التحصيل ص٨٤٠ و٨٤٢.

وغير ذلك من الروايات مما لا سند له كما قال ابن عطية[١] سوى ما رواه عمار بن ياسر، "أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما"[٢].

ومن الإسرائيليات ما قص في القوم الجبارين قوله تعالى: ﴿**قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين**﴾ [المائدة: ٢٢] ذكر المهدوي أنه لما بعث موسى من قومه اثني عشر نقيبا ليخبروهم رآهم رجل من الجبارين فأخذه في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه وجاءهم بها إلى الملك فنثرهم بين يديه وقال إن هؤلاء يريدون قتالنا فقال لهم الملك ارجعوا إلى أصحابكم فأخبروه خبرنا[٣]، وذكر الطبري روايات أخرى في القصة[٤]، وقص المهدوي قصة عوج مع موسى فقال: "ولما نظر عوج إلى عسكر موسى اقتلع حجرا من الأرض على قدرهم واحتملها ليرسلها عليهم فبعث الله الهدهد ومعه قطعة من ماس فأداره على الصخرة فلقا رأسه فسقط موضع التقوير في عنقه وضربه موسى بعصاه في العرق الذي تحت كعبه فخر ميتا"[٥]، قال ابن كثير: 'ههنا اخبار من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين وأن منهم عوج بن عنق"[٦]، وقد ضعف ابن عطية كل هذه الروايات"[٧].

المطلب السابع: موقف المهدوي من القراءات:

لا يماري أحد من الباحثين الذين بحثوا من خلال الكتب التي ترجمت للمهدوي أن الرجل أولى اهتماما بالغا لعلم القراءات وذلك بين من كتبه التي ألفت في هذا العلم زيادة على ما ذكره في التحصيل وبصورة أدق في التفصيل إذ هذا الكتاب لو أخذت منه أبواب القراءات لكان كتابا مستقلا في القراءات، وكغيره من القراء اعتمد المهدوي القواعد الثلاثة التي تثبت القراءة الصحيحة وهي: العربية وصحة الإسناد والرسم، قال ابن الجزري: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحـرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومن اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة او شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عن أئمة التحقيق من السلف والخلف"[٨]، وهذا ما جعل المهدوي يرفض القول بان القراءات الصحيحة هي التي عن

(١) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٣٨.

(٢) سنن الترمذي كتاب التفسير باب ٦ ج٥ ص٢٤٢.، رقم ٣٠٦١، وقال الترمذي: "هذا حديث قد رواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاس عن عمار بن ياسر موقوفا" المصدر نفسه

(٣) التحصيل ص٦٣١.

(٤) جامع البيان ج٦ ص١٧٤ و١٧٥.

(٥) التحصيل ص ٦٣٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٨.

(٧) المحرر الوجيز ج٥ ص٧٤.

(٨) انظر: النشر في القراءات العشر ج١ ص٩ ومنجد المقرئين ص١٥.

السبعة فقط الذين ذكرهم ابن مجاهد، قال: "فأما اقتصار أهل الأمصار في الأغلب على نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي فذهب إليه بعض المتأخرين اختصارا واختيارا فجعله عامة الناس كالفرض المحتوم حتى إذا سمع ما يخالفها خطأ أو كفر وربما كانت أظهر وأشهر ثم اقتصر من قلة عنايته على راويين لكل إمام منهم فصار إذا سمع قراءة راو عنه غيرهما أبطلها وربما كانت أشهر، ولقد فعل مسبع هؤلاء السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله وأشكل على العامة حتى جعلوا ما لم يسعه جهله وأوهم كل من قل نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي لا غير"(١)، وأكد ذلك ابن الجزري قال: "وكل حرف انفرد به واحد من العشرة متواتر معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكابر في ذلك إلا جاهل وليس التواتر في شيء منها مقصورا على من قرأ بالروايات بل هي متواترة عند كل مسلم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"(٢).

لقد سبق ذكري أن الشيخ المهدوي قد برز في هذا العلم من خلال كتاباته فيه ومن بينها التفسيرين الكبير والصغير غير أن فنه في الكتاب الأول كان أبين من الثاني لتفصيلاته ودراساته ومما لا شك فيه أن هذه الدراسة وهذا الإتقان في هذا العلم نابع من اهتمامه باللغة العربية إذ هي شرط مهم في فهم إتقان هذه الصنعة زيادة إلى معرفة السند والرسم كما ذكرت سابقاً فاللغة تمد القارئ بمعرفة القراءة، قال الإمام أبي الحسن الحصري:

لقد يدعي علم القراءة معشر وباعهم في النحو أقصر من شبر

فإن قيل ما إعراب هذا ووجهه رأيت طويل الباع يقصر عن فتر(٣)

وقد انتصر المهدوي للقراءات المتواترة واحتج لها باللغة والآثار كما سنوضح وقد فضل بعض القراءة المتواترة على الأخرى كما فعل الإمام الطبري في بعض تفضيلاته بين القراءتين الصحيحتين كقوله "وأولى القراءتين" وأبو علي الفارسي نحو ما فعله في قوله تعالى: ﴿وإن كانت واحدة﴾ [النساء: ١١] قال: "وكلهم قرأ بالنصب إلا نافع بالرفع والاختيار ما عليه الجماعة"(٤)، وهذه بعض النماذج من منهج المهدوي وتعامله مع القراءات المتواترة من خلال التحصيل عند قوله تعالى: ﴿**أحصن**﴾ [النساء: ٢٥] قال المهدوي "القراءة الأولى بضم الهمزة وكسر الصاد أقوى لأن ظاهرة القراءة الثانية بفتح الهمزة والصاد يوجب أن لا يكون على الأمة حد إذا زنت إلا أن تكون ذات زوج والقراءة الأولى أولى بوجب ظاهرها الحد على كل أمة زنت إذا أسلمت كانت أيما أو ذات زوج وهو وجه الحكم"(٥)، وقوله تعالى: ﴿**فتبينوا**﴾ [النساء: ٩٤] فضل المهدوي قراءة التبين على قراءة التثبت لحديث

(١) انظر: النشر في القراءات العشر ج١ ص٣٦.

(٢) منجد المقرئين ص٥٠.

(٣) منجد المقرئين ص٤.

(٤) الحجة للقراء السبعة ج٣ ص١٣٤.

(٥) شرح الهداية ج٢ ص٢٥٠..

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "التبين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا"(١). أما في التحصيل فجعل "فتبينوا و فتثبتوا" متقاربان(٢).

وقوله تعالى: ﴿**الأوليان**﴾ [المائدة: ١٠٤] قال: "فالأوليان على هذا مبتدأ مؤخر فهو كقولك تميمي لنا ويجوز أن يكون الأوليان خبر مبتدأ محذوف... ويجوز أن يكون الأوليان بدلا من المضمر في يقومان ويجوز أن يكون الأوليان صفة لآخرين لأنه اختص حين وُصف"(٣).

وقوله تعالى: ﴿**مدخلا كريما**﴾ [النساء: ٣١] قال: "فتح الميم يجوز مصدر دخل، وهو منصوب بإضمار فعل التقدير فيدخلون مدخلا كريما ويجوز أن يكون اسم مكان فينتصب على أنه مفعول به ومن ضم الميم احتمل أن يكون مصدرا على تقدير حذف المفعول والتقدير ويدخلكم الجنة مدخلا كريما أي مدخلا تكرمون فيه واحتمل أن يكون اسما للمكان فيكون مفعولا"(٤).

وقوله تعالى: ﴿العين بالعين﴾ [المائدة: ٤٥]، قال: "من رفع فعل وجهين أحدهما أن يكون معطوفا على قوله على موضع أن النفس لأن المعنى قلنا لهم النفس بالنفس، والآخر استئناف ويجوز أن يكون مرفوعا على العطف على المضمر في النفس لأن المضمر في النفس في موضع رفع لن التقدير أن النفس هي مأخوذة بالنفس والأسماء معطوفة على هي ومن نصب اللفظ"(٥).

ومن احتجاجه للقراءة الاعتماد على الآثار نحو ما فعله عند قوله تعالى: ﴿**فسوف نصليه نارا**﴾ [النساء: ٣٠]، قال المهدوي: "من فتح النون فهو منقول من صلى النار إذا صليته وفي الخبر شاة مصلية"(٦).

ومنها قوله تعالى: ﴿**المحصنات**﴾ [النساء: ٢٤] قال: "وفتح الصاد من هذا الموضع لأن المراد به الحربية ذات الزوج في دار الحرب أحصنها زوجها فهي محصنة"(٧).

وقوله تعالى: ﴿**لامستم**﴾ [النساء: ٤٣، المائدة: ٦] لامستم فعل على أن المراد الجماع وهو من اثنين ومن قرأ لمستم فهو منسوب إلى الرجل خاصة ويقويه "ولم يمسسني بشر"(٨).

ومن احتجاجه أيضا بالآثار تفسير قوله تعالى: ﴿**وأرجلكم**﴾ [المائدة: ٦] على قراءة النصب في فرضية غسل الرجلين لأنه عطف على الوضوء(٩)، والمسح على قراءة الجر(١٠).

---

(١) شرح الهداية ج٢ ص٢٥٥. الحديث جاء بلفظ الأناة انظر سنن الترمذي كتاب البر باب ٦٦ ما جاء في التأني والعجلة ج٤ ص٣٢٢ رقم ٢٠١٢.

(٢) التحصيل، ص٣٩٤.

(٣) التحصيل، ص٨٦٥، وانظر: شرح الهداية ج٢، ص٢٧٠.

(٤) التحصيل، ص٢١٥.

(٥) التحصيل، ص٧٠٥، ٧٠٧

(٦) التحصيل، ص٢١٥.

(٧) التحصيل، ٢١١.

(٨) انظر التحصيل، ص٢٧٣.

(٩) التحصيل ٦٠٥.

(١٠) التحصيل ٦٠٥، قال البغوي: "من أهل العلم من ذهب إلى أنه يمسح على الرجلين" معالم التنزيل ج٢ ص٢١٧. وقال القرطبي: "أن المسح في الرجلين هو الغسل وهو الصحيح فإن لفظ المسح مشترك يطلق بمعنى المسح ويطلق بمعنى الغسل" الجامع لأحكام القرآن: ج٦ ص٩٢.

وقوله: ﴿أن صدوكم﴾ [المائدة: ٢] قال: "من فتح يدل على أمر قد كان والآية نزلت عام الفتح سنة ثمان، وصدُّ المشركين النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن البيت كان عام الحديبية سنة ست"(١).

غير ان المهدوي "رد بعض القراءات الصحيحة ووصمها بالقبح والبعد فعند تفسيره لقوله تعالى "والأرحام" بالخفض قال: "وجر الأرحام يكون على العطف المخفوض وفيه قبح(٢).

وقال في موضع آخر: "الخفض على العطف على المضمر المخفوض وفيه بعد"(٣)، وقد رددنا على هذا القول مما يثبت الخطأ الذي وقع فيه الذين أنكروا هذه القراءة(٤).

وكما احتج المهدوي للقراءات المتواترة فقد احتج كذلك للقراءات الشاذة على غرار ما لمسناه في كتاب المحتسب(٥) إلا أن هذا الكتاب أدق تفصيلا من التحصيل، وهذه نماذج من احتجاجه للقراءات الشاذة:

قوله تعالى: ﴿**المضاجع**﴾ [النساء: ٣٤] قرئت: (المضجع)(٦) قال المهدوي: "ومن وحد المضجع فهو واحد مؤدى لأنه اسم جنس"(٧).

وقوله تعالى: ﴿**يدرككم**﴾ [النساء: ٧٨] قرئت برفع الكاف(٨)، قال: "ومن رفع فعلى إضمار الفاء وهو قليل لم يأت إلا في الشعر"(٩).

ومنه قوله تعالى: ﴿**إناثا**﴾ [النساء: ١١٧] قرئت "أثنا"(١٠)، قال: "فهو جمع وثن والهمزة منقلبة عن واو لانضمام الواو ومن أسكن الثاء فهو مخفف من "أثنا"(١١).

وقوله تعالى: ﴿**تجد**﴾ [النساء: ١٢٣] قرئت بالرفع(١٢) قال: استأنف ومن جزم عطفه على ما قبله"(١٣).

---

(١) التحصيل، ص ٦٠٢.

(٢) التحصيل، ص ١٠٩.

(٣) شرح الهداية ج٢ ص٢٤٤.

(٤) انظر كتاب السبعة ص٢٦٦ وإبراز المعاني ص٤١٠. وسراج القارئ المبتدئ ص١٨٨ وقال أبو حيان: "وهذا اختبارنا وإن كان مخالفا لأهل البصرة: البحر المحيط ج٣ ص١٥٥.

(٥) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان ابن جني.

(٦) مختصر في شواذ القرآن ص٢٦.

(٧) التحصيل ص٢١٩.

(٨) مختصر في شواذ القرآن ص٢٧.

(٩) التحصيل ص٣١٨.

(١٠) مختصر في شواذ القرآن ص٢٨.

(١١) التحصيل ص٤١٧.

(١٢) مختصر في شواذ القرآن ص٢٩.

(١٣) التحصيل ص٤٥٠.

ومنه قوله تعالى: ﴿**فاصطادوا**﴾ [المائدة: ٢] بكسر الفاء[١]، قال: "ومن كسر الفاء احتمل أن يكون راعى ألف الوصل التي تكسر في اصطادوا في الابتداء فعامل الفاء معاملتها لوقوعها في موضعها أو يكون راعي ما يجوز من إمالة الألف التي بعد الطاء ولو أمليت لجاز"[٢].

وقوله ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون**﴾ [المائدة: ٥٠] برفع الميم[٣] قال: "من رفعه فعلى معنى يبتغونه فحذف الهاء، واستشهدوا بقول أبي النجم:

فقد أصبحت أم الخيار تدعي علي ذنبا كله لم أصنع[٤]

وقوله تعالى: ﴿**كسوتهم**﴾ [المائدة: ٨٩] كإسوتهم[٥]، قال فهذه من إسوة، ويجوز أن تجعل إسوة هي الكفاية فلا تحتاج إلى تقدير حذف[٦].

وقد رد بعض القراءات الشاذة كقراءة الحسن ﴿**مذبذبين**﴾ [النساء: ١٤٣] بفتح الميم والذالين[٧]، وهي غلط[٨]، وهو القول الذي أخذه عليه ابن عطية[٩] والحسن البصري من أفصل الناس يحتج بكلامه فلا ينبغي أن ترد قراءته ولها وجه في العربية وهو أنه اتبع حركة الميم بحركة الذال[١٠].

المطلب الثامن: تفسير القرآن باللغة عند الإمام المهدوي:

لا يماري أحد أن اللغة من أساسات فهم النص القرآني ولا يمكن للمفسر أن يكون مفسرا إلا إذا كان عالما بها متمرسا بنحوها وصرفها وشواهدها الشعرية، فجهل إعرابها يفسد معنى الآية. ألم تر إلى ذلك الأعرابي الذي قرأ قوله تعالى: ﴿**أن الله بريء من المشركين ورسوله"**﴾ [التوبة: ٣]، فقرأ: "ورسوله" بالجر[١١]، وقد حض رسول الله صلى الله عليه وسلم إعراب القرآن، فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"[١٢].

---

(١) مختصر في شواذ القرآن، ص٣٠.

(٢) التحصيل ص٦٠١.

(٣) مختصر في شواذ القرآن، ص٣٢.

(٤) التحصيل ص٧١١.

(٥) مختصر في شواذ القرآن، ص٣٤.

(٦) التحصيل ص٨٠٩.

(٧) مختصر في شواذ القرآن، ص٢٩.

(٨) التحصيل ص٤٤٧.

(٩) المحرر الوجيز ج١ ص٢٩٠.

(١٠) وهو قول أبي حيان رد فيه على المهدوي وابن عطية: البحر المحيط ج٣ ص٣٧٩.

(١١) انظر القصة: الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٢٤.

(١٢) المحرر الوجيز ج١ ص١٤.

وكان أفضل علوم القرآن العربية لما رواه ابن عباس "أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي علم القرآن أفضل؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم عربيته فالتمسوها في الشعر"(١)، وقال ابن عباس "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"(٢)، ولابن عباس حوار مع نافع بن الأزرق (ت٦٥) في تفسير القرآن، فكان ابن الأزرق يسأل ابن عباس عن الآية من القرآن فيفسرها له ثم يقول ابن الأزرق وهل تعرف العرب ذلك في شعرها؟ فيأتيه ببيت من الشعر إلى أن أتى على تفسير القرآن(٣)، قال صاحب البرهان: "وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهومها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفى في حقه تعلم اليسير منها"(٤)، وإذا كان المهدوي قد برع في علم القراءات فكذا في علم اللغة رغم أنه لم يؤلف فيها كما ألف في علم القراءات إلا أن جهده بدا واضحا في تفسيره التفصيل والتحصيل وهذا ما جعل بعض من ترجموا له يصفوه بالأستاذ في العربية(٥). وكان المهدوي يحث على فهم اللغة فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ [النساء: ٨٢]، قال: "دليل على وجوب تعلم معاني القرآن"(٦).

وقد تأثر المهدوي بمجموعة من العلماء منهم: الخليل والمازني والأخفش والزجاج وأبو عبيدة إلا أن أهم علم تأثر به وأكثر من الاستشهادات له سيبويه وقد فضل أقواله ورجحها في كثير من مناسبات تفسيره واعتمد عليه في مبحث الإعراب ومبحث التفسير ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿**يريد الله ليبين لكم**﴾ [النساء: ٢٦] قال المهدوي: "أي أراده الله هذا الذي ذكره ليبين لكم هذا مذهب سيبويه"(٧). وقوله تعالى: ﴿**فانفروا ثبات**﴾ [النساء: ٧١]، قال: "وأما كسر أوله فلخروجه عن بابه لأنه حكم مثل هذا أن يجمع بالألف والتاء هذا قول سيبويه"(٨) أو كقوله "الاختيار عنده(٩) – أي عند سيبويه – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**اللذان**﴾ [النساء: ١٦] أو كقوله "هو اختيار سيبويه"(١٠) عند نصب قوله تعالى: ﴿**السارق والسارقة**﴾ [المائدة: ٣٨] "والخبر عند سيبويه

(١) المحرر الوجيز ج١ ص١٤.
(٢) إيضاح الوقف والابتداء، لابن الأنباري ج١ ص٦٢ والبرهان في علوم القرآن ج١ ص٢٩٣.
(٣) انظر الإتقان ج٢ ص٥٦ إلى ٨٨.
(٤) البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٦٥.
(٥) ترجم له الداودي "بالنحوي واللغوي والمفسر": انظر طبقات المفسرين ج١ ص٥٦.
(٦) التحصيل ص٣٦٢.
(٧) التحصيل ص١٨٥.
(٨) التحصيل ص٢٩٢.
(٩) التحصيل ص١٢٩.
(١٠) التحصيل ص٦٥٩.

محذوف"[١]. وكقوله عند سيبويه، عند تفسره لقوله تعالى: ﴿**والمؤتون الزكاة**﴾ [النساء: ١٦٢] ورفع المؤتون الزكاة عند سيبويه على الابتداء[٢].

وكقوله على مذهب سيبويه عند تفسيره "إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته"[٣]، "وفي هذه الآية على مذهب سيبويه حذف موصوف التقدير وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به قبل موته"[٤] وفي سياق الكلام رد مذهب الكوفيين في المسألة فقال "وفيه قبح"[٥]، ورد على الفراء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وما يتلى عليكم**﴾ [النساء: ١٢٧] قال الفراء: "ويجوز أن يكون جرا على العطف على الضمير في "فيهن وما يتلى عليكم"[٦] قال المهدوي "وهو قبيح لأنه عاطف ظاهر على مضمر"[٧].

وهذا لا يدل على أن المهدوي رد كل أقوال الكوفيين بل استشهد في بعض المواضع بأقوالهم وحدهم فقط كتفسيره قوله تعالى: ﴿كتاب الله عليكم﴾ [النساء: ٢٤]، قال: "هو عند الكوفيين منصوب على الإغراء"[٨]. وأحيانا يأتي بآراء مجموعة من العلماء[٩]، وتارة يأتي باختلاف المفردات لدى علمين نحو ما فعله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فإن خفتم﴾ [النساء: ٣]"، قال: "يقول أبو عبيدة معنى خفتم أيقنتم وغلطه الزجاج في ذلك[١٠]، وقول الزجاج: "قال بعضهم خفتم ها هنا بمعنى أيقنتم، وهذا خطأ"[١١].

كما اعتمد المهدوي على أولئك الأعلام فقد اعتمد أيضا على لغات العرب التي كانت منتشرة أنحاء الجزيرة العربية ولم يفصل سبب اعتماده على هذه اللغة وترك الأخرى وما القوية وما الضعيفة؟ بل تركها المهدوي بدون إعطاء مبررات لذلك واكتفى بقوله وهذه لغة كذا ومن نماذج ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿**البخل**﴾ [النساء: ٣٧] قال: "والقراءات المذكورة في البخل لغات"[١٢]، وهذه اللغات البخل بضم الباء وسكون الخاء والبخل بفتح الباء والخاء والبخل بضم الباء والخاء والبخل بفتح الباء وسكون الخاء[١٣]، ومنه:

(١) التحصيل ص٦٥٩.
(٢) التحصيل ص٤٩٠.
(٣) التحصيل ص٤٦٦.
(٤) التحصيل ص٤٦٦.
(٥) التحصيل ص٤٦٦.
(٦) معاني القرآن الفراء ج١ ص٢٩٠.
(٧) التحصيل ص٤٢٧.
(٨) التحصيل ص٢١١.
(٩) التحصيل ص٦٥٩.
(١٠) مجاز القرآن، ج١ص ١٢٦، التحصيل ١٨١.
(١١) معاني القرآن ج٢، ص٤٨.
(١٢) التحصيل ص٢٢٣.
(١٣) التبيان في إعراب القرآن، ج١، ص٣٥٦.

قوله تعالى: ﴿**صدقاتهن**﴾ [النساء: ٤] قال المهدوي: "وما تقدم ذكره في صدقاتهن لغات"(١). والذي تقدم ذكره في مبحث القراءات قال: "صدقاتهن بضم الصاد وإسكان الدال وبضمها أيضا والتوحيد(٢)، وقال في التفصيل: "إنها لغات معروفة للعرب فهو جمع صدقة وبنو تميم يقولون صدقة فيجتمع على هذا صدقات"(٣)، ويقال صداق المرأة بفتح الصاد وضم الدال ويقال صدقة بضم الصاد وإسكان الدال(٤)، ويقال صُدُقة بضم الصاد والدال(٥).

قوله تعالى: ﴿**إن تقصروا من الصلاة**﴾ [النساء: ١٠١] قال: "أن تقصروا وتقصروا وتقصروا لغات"(٦)، يقال قصرت – بفتح القاف والصاد – الصلاة وقصرتها – بفتح القاف وتشديد الصاد – وأقصرتها(٧).

قوله تعالى: ﴿**هل تنقمون منا**﴾ [المائدة: ٥٩] قال: "الفتح والكسر لغتان"(٨)، واللغتان هما: نقمت وأنقم(٩)، وليست إحداهما أولى من الأخرى(١٠)، وقيل الكسر أفصح(١١)، والفتح لغة قليلة(١٢).

وقد اعتمد سلف هذه الأمة على لغات العرب، فهذا مجاهد يقول: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله العزيز إذا لم يكن عالما بلغات العرب"(١٣)، قال سعيد بن المسيب: "بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: "يا أيها الناس ما تقولون في قول الله عز وجل ﴿**أو يأخذهم على تخوف**﴾ [النحل: ٤٧] فسكت الناس فقال شيخ من بني هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين التخوف التنقص"(١٤)، وهو التفسير الذي فسر به ابن عباس ومجاهد والحسن الآية"(١٥)، وفي رواية أن عمر بن الخطاب خفي عليه معنى التخوف في هذه الآية وأراد الكتب إلى الأمصار يسأل عن ذلك حتى سمع:

تخوف السير منها تامكًا قردا كما تخوف عود النبعة السُفن(١٦)

---

(١) التحصيل ص١١٧.

(٢) التحصيل ص١١٧.

(٣) التفصيل ص١٣٩.

(٤) معاني القرآن وأعرابه، للزجاج ج٢، ص١١.

(٥) لسان العرب، مادة صدق ج٤ ص٢٤٢.

(٦) التحصيل ص٣٩٧.

(٧) التفصيل ص١٤٧.

(٨) التحصيل ص٧٤١.

(٩) جامع البيان، ج٦ ص٢٩٢

(١٠) مجاز القرآن ج١، ص١٧٠

(١١) مفاتيح الغيب ج١٢ ص ٢٦.

(١٢) روح المعاني ج٦ ص ١٧٣.

(١٣) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٩٢.

(١٤) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠، ص ١١٠

(١٥) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠، ص ١٠٩ و١١٠.

(١٦) المحرر الوجيز، ج١٠، ١٩٠.

وعبد الله بن عباس الذي فسر قوله تعالى: ﴿**حوبا**﴾ [النساء: ٢] بأنه الإثم، وهي لغة الحبشة[١]. وقوله تعالى: ﴿**مراغما**﴾ [النساء: ١٠٠] قال ابن عباس منفسحا بلغة هذيل[٢].

وكان الإمام المهدوي يستشهد بالأبيات الشعرية عند بيان المعنى، ولكنه مقل في ذلك، ومن المعلوم أن الشعر يعتبر لبنة لفهم النص القرآني وقد اعتمده الصحابة والتابعون عند إشكال بعض الآيات وسبق القول أن عمر بن الخطاب لم يفهم كلمة "التخوف" من قوله تعالى: ﴿**أو يأخذهم على تخوف**﴾ [النحل: ٤٧] حتى فهمها من الشعر[٣]، وقول ابن عباس "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[٤]، وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر فقال: "إن من الشعر حكمة"[٥] قال ابن قتيبة الدينوري: "والشعر معدن علم العرب وسفر حكمتها وديوان أخبارها ومستودع أيامها والسور المضروب على مآثرها والخندق المحجوز على مفاخرها والشاهد العدل يوم النفار والحجة القاطعة عند الخصام"[٦].

ولعل من أهم ما يفهم منه القارئ ضرورة الشعر عند غياب فهم آية من المصادر التفسيرية[٧] تلك المناظرة بين نافع بن الأزرق وعبد الله بن عباس[٨] نأخذ منها بعض الشواهد التي تتعلق بسورتي النساء والمائدة ليتضح لنا أهمية الشعر في بيان أو مزيد البيان لبعض الآيات:

قوله تعالى: ﴿**العنت**﴾ [النساء: ٢٥] قال ابن عباس: الإثم، أما سمعت قول الشاعر:

رأيتك تبتغي عنتي وتسعى مع الساعي علي بغير دخل[٩]

وقوله تعالى: ﴿**فتيلا**﴾ [النساء: ٤٩] قال ابن عباس: التي تكون في ق النواة، ومنها قول النابغة:

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لم يرزا الأعادي فتيلا[١٠]

وقوله تعالى: ﴿**مقيتا**﴾ [النساء: ٨٥] قال ابن عباس: قادرا مقتدرا، أما سمعت قول الشاعر:

وذي ضعن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا[١١]

وقوله تعالى: ﴿**ولا يظلمون نقيرا**﴾ [النساء: ١٢٤]، قال ابن عباس النقير: ما في شق النواه، ومنه تنبت النخلة، أما سمعت قول الشاعر:

وليس الناس بعدك في نقير وليسوا غير أصداء وهام[١٢]

---

(١) الإتقان ج٢ ص ٧٥.
(٢) التحصيل ص٧٤١.
(٣) الإتقان ج٢ ص٨٥، وص٩١.
(٤) البرهان في علوم القرآن ج١، ٢٩٢.
(٥) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب ٩٠ ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ج١٠ ص٥٥٣ رقم ٦١٥٤.
(٦) عيون الأخبار ابن قتيبة ج٢ ص٢٠٠ و٢٠١.
(٧) هي تفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين.
(٨) الإتقان في علوم القرآن ج٢ ص٥٦ إلى ص٨٨.
(٩) الإتقان ج٢ ص٧٥.
(١٠) الإتقان ج٢ ص٧٥ والبيت غير موجود في ديوان النابغة.
(١١) الإتقان ج٢ ص٧٠.
(١٢) الإتقان ج٢ ص٧٦.

وقوله تعالى: ﴿**وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ [المائدة: ٣٥] قال ابن عباس: الوسيلة الحاجة، أما سمعت قول عنترة:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي[١]

وقوله تعالى: ﴿**لا تحزن**﴾ [المائدة: ٢٦] قال ابن عباس: لا تأس، أما سمعت قول امرئ القيس:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل[٢]

وقوله تعالى: ﴿**شرعة ومنهاجا**﴾ [المائدة: ٤٨]، قال ابن عباس: الشرعة الدين، والمنهاج الطريق، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام دينا ومنهاجا[٣]

وأشاد بالشعر مجموعة من العلماء منهم ابن سلام قال: "كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون، وكان عمر بن الخطاب يقول: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم به علم أصح منه"[٤]، وقال الزركشي: "الشعر ديوان العرب فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك"[٥].

ورغم هذه الأهمية التي وليت للشعر في فهم النص القرآني نجد المهدوي قلل من استشهاده لبيان بعض الآيات فشواهده الشعرية في سورة النساء بلغت سبعة في حين في سورة المائدة لم يستشهد إلا ببيت شعري وصدر بيت هي:

نعلق في قتل السواري سيوفنا وما بيننا والكعب غوط نفائف[٦]

واستشهد بالبيت على قراءة خفض "الأرحام" بقول الشاعر:

أقبل سيل جا من عند اله يحرد حرد الجنة المعلة[٧]

استشهد بالبيت على قراءة "ربع" من قوله تعالى: ﴿**مثنى وثلاث ورباع**﴾ [النساء: ٣].

الأعراد أعردا وصلينا بردا[٨]

واستشهد بالبيت الآتي على حذف الهمزة من: ﴿إحداهن﴾ [النساء: ٢٠] على إرادة التخفيف.

إن لم أقاتل فالبسوني برقعا وفتخات في اليدين أربعا[٩]

---

(١) الإتقان ج٢ ص٥٦.
(٢) ديوان امرئ القيس ص٩، الإتقان ج٢ ص٦٩.
(٣) الإتقان ج٢ ص٥٧.
(٤) طبقات فحول الشعراء ج١ ص٢٤.
(٥) البرهان في علوم القرآن ج٢ ص٢٩٤
(٦) البيت لمسكين الدارمي. انظر إعراب القرآن، للنحاس ج١ ص٤١٣.
(٧) التحصيل ص١٠٩.
(٨) المحرر الوجيز ج٤ ص١٦.
(٩) التحصيل ص١٢٩.

ومن استشهاده في سورة المائدة: قد أصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم أصنع[١] استشهد به على حذف الهاء من قوله تعالى: ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون** ﴾ [المائدة: ٥٠] أهله ود قد برأت منه[٢] استشهد به على من قرأ: أهاليكم[٣] من قوله: ﴿أهليكم﴾ [المائدة: ٨٩]، وهذه الاستشهادات قليلة إذا ما قورنت بالاستشهادات التي اعتمدها غيره من المفسرين، حاولت أن أعقد مقارنة بينه وبين القرطبي وابن عطية فوجدت هذين العلمين قد أكثرا من تلك الاستشهادات سواء بالبيت كاملا أو نصفه ففي الجامع لأحكام القرآن (١٩٥) بيتاً في تفسير سورة النساء أما في سورة المائدة ففيها (١٠٩) أبيات، أما المحرر الوجيز ففي تفسير سورة النساء (٨٩) بيتاً أما في تفسير المائدة ففيها (٥٦) بيتاً.

وتتجلى دقة عربية المهدوي وفهمه لأساليبها من خلال مجموعة من تفسيراته للآيات نورد بعضها:

قوله تعالى: ﴿**وإن منكم لمن ليبطئن**﴾ [النساء: ٧٢] قال: "واللام في "لمن" للابتداء وفي "ليبطئن" لام القسم"[٤].

قوله تعالى: ﴿**ولو تسوى بهم الأرض**﴾ [النساء: ٤٢] قال: "بفتح التاء، فالأرض فاعلة، والمعنى لو تسويهم بالأرض، وهو مثل أدفعت القلنسوة في الرأس"[٥].

قوله تعالى: ﴿**أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يأتون الناس نقيرا**﴾ [النساء: ٥٣]، قال: "أم منقطعة والمعنى بل لهم نصيب وقيل هي العاطفة على المحذوف"[٦].

قوله تعالى: ﴿**قالوا فيم كنتم**﴾ [النساء: ٩٧] قال: "سؤال توبيخ وخبر أن قوله: "قالوا فيم كنتم" على معنى: قالوا لهم، وقيل الخبر "فأولئك مأواهم جهنم"، وقيل: الخبر محذوف"[٧].

قوله تعالى: ﴿**يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**﴾ [المائدة: ٢] قال: "(رضوانا) حال من آمّين، وهو أحسن من كونه صفة"[٨].

قوله تعالى: ﴿**السارق والسارقة**﴾ [المائدة: ٣٨] قال: "واللام فيه لتعريف النوع لا لتعريف الجنس وإنما يكون لتعريف الجنس فيما تلزمه الألف واللام"[٩].

---

(١) انظر: التحصيل ص٧١١.

(٢) البيت لأبي الطحمان القيني والبيت كما هو في المحتسب ج١ ص٢١٧.

(٣) التحصيل ص٨٠٩.

(٤) التحصيل ص٢٩٦.

(٥) التحصيل ص٢٧٣.

(٦) التحصيل ص٢٥٨.

(٧) التحصيل ص٢٥٨.

(٨) التحصيل ص٦٠١.

(٩) التحصيل ص٦٥٢.

قوله تعالى: ﴿**كان يأكلان الطعام**﴾ [المائدة: ٧٥] كناية عن الغائط والبول[١]، قال المبرد: "كناية بإجماع عن قضاء الحاجة؛ لأن كل من أكل الطعام في الدنيا أنجى، يقال نجا وأنجى إذا قام لحاجة الإنسان"[٢]، وأنكر ذلك ابن عطية قال: "وهذا القول بشع لا ضرورة تدفع إليه حتى يقصد هذا المعنى بالذكر وغنما هي عبارة عن الاحتياج إلى التغذي"[٣].

قوله تعالى: ﴿**إن الذين يأكلون أموال الناس ظلما غنما يأكلون في بطونهم نارا**﴾ [النساء: ١٠] قال: "إنما تمثيل معناه أن أكلة ذلك مصيرهم النار"[٤]، وقد جانى الصواب المهدوي في هذا القول فالآية حقيقة لما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم "ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق وهو الصهر ثم يعاد كما كان"[٥]. وهناك نماذج أخرى توضح أستاذية المهدوي في المجال اللغوي[٦].

المطلب التاسع: بيان الأحكام الفقهية:

يمكننا أن نجزم أن المهدوي مالكي المذهب لسببين الأول أن مخلوف عنده في الطبقة التاسعة من طبقات المالكية الأفارقة[٧]، والثاني انتصاره للمذهب وذلك بتقديم قول مالك في النازلة أو ترجيح قوله أو ذكر قوله وحده وهذا هو السائد في مبحث الأحكام إلا أن المهدوي يخرق هذه القاعدة في بعض الأحكام كما سنبين من خلال قراءتنا للتحصيل.

فمن انتصاراته عند حديثه عن الحكمين في قوله تعالى: ﴿**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**﴾ [النساء: ٣٥] يقول المهدوي: "الحكمان في قول مالك يكونان إذا قبح ما بين الزوجين ولم يقدر على تعرف امرهما ببينة فيبعث الحاكم رجلين موثوقا بهما"[٨]. وفي قوله تعالى: ﴿**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة**﴾ [النساء: ١٠٠]. قال: "قال مالك هذه الآية دالة على ان ليس لأحد المقام بأرض يسب فيها السلف ويعمل فيها بغير الحق"[٩].

---

(١) التحصيل ص٧٣٠.

(٢) الكامل، للمبرد، ج٢ ص١٣١ و٢٩٠.

(٣) المحرر الوجيز ج٥ ص١٦٢.

(٤) التحصيل ص٨٣.

(٥) سنن الترمذي كتاب صفة جهنم باب ٤ ما جاء في صفة شراب أهل النار ج٤ ص٦٠٧ رقم ٢٥٨٢.

(٦) انظر التحصيل ص٥٥ عند تفسير قوله تعالى: (كلالة) [النساء: ١٢]، وص ٢١٩ عند قوله تعالى: (فعظوهن واهجروهن في المضاجع) [النساء: ٣٤] وص٣٦٨ عند قوله تعالى: (ومن يقاتل في سبيل الله أو يغلب) [النساء: ٧٤]، وغيرها كثير.

(٧) شجرة النور الزكية ج١ ص١٠٨.

(٨) انظر: التحصيل ص١٨١.

(٩) انظر: التحصيل ص٣٤٢.

وقال في مسألة حكم الجزاء "ولا يحكمان في الإبل والبقر والغنم وإنما يجوز في الضحايا فإن اختلفا ابتدأ الحكم غيرهما ويحكمان بغير رأي الإمام وله أن يرجع إلى غيرهما هذا قول مالك"(١)، وتارة يذكر قولين لمالك متناقضين نحو قول مالك في وجوب غسل المرافق وقول آخر في عدم وجوب غسلها ورجح المهدوي القول بالغسل لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمتي الغر المحجلون فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل"(٢).

وتجد المهدوي يعتمد على القول الضعيف لمالك ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾ [النساء: ٨٦] قال: "قال مالك معنى الآية رد المشمت على العاطس"(٣)، والآية واضحة أنها تتعلق بالتحية وردها، قال ابن عطية: "وفي قول مالك هذا ضعف"(٤)، وقال القرطبي: "وهذا ضعيف"(٥)، وقال ابن حجر: "وليس في السياق دلالة على ذلك"(٦).

وفي بعض الأحكام لا يرجح بين المذاهب بل يسردها كما جاءت عن أئمتها فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فإن آنستم منهم رشدا**﴾ [النساء: ٦] تحدث المهدوي عن الرشد بأنه لم يرشد بعد الحلم وإن شاخ لا يزول الحجر، وهو مذهب مالك وغيره وقال أبو حنيفة لا يحجر على الحر البالغ إذا بلغ مبلغ الرجال(٧).

وكثيرا ما نجد المهدوي يذكر بصحبة مالك الإمام الشافعي وكان عمدة مذهبه الثاني أقوال الشافعي نحو قوله وهذا مذهب مالك والشافعي فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وربائبكم**﴾ [النساء: ٢٣] قال: "لا يحرمن حتى يدخل بأمهاتهن وإن الأم لا تحرم دخل بالابنة أو لم يدخل هذا مذهب مالك والشافعي"(٨).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وما علمتم من الجوارح**﴾ [المائدة: ٤] يقول المهدوي: "وذهب مالك والشافعي أن هذه الآية يدخل فيها مع الكلاب المعلمة البزاة والصقور والفهود وكل ما علم الصيد"(٩) وهذا القول مخالف لقول الضحاك والسدي إذ خصصا الحكم للكلاب فقط(١٠). ومن هذه الصحبة للعلمين مالك والشافعي كما ذكر المهدوي "وهذا مذهب مالك والشافعي وذهب مالك والشافعي وقال مالك والشافعي وفي قول مالك والشافعي وأباح مالك والشافعي وعند مالك والشافعي إلا أنه يكثر من قوله هذا مذهب مالك والشافعي.

---

(١) انظر: التحصيل ص٧٨٥.

(٢) انظر: التحصيل ص٥٥٨، والحديث في البخاري، ج١، ص ٣٩، الحديث رقم ١٣٦.

(٣) التحصيل ص٣٢١.

(٤) المحرر الوجيز ج٤ ص١٩٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٢٩٨.

(٦) فتح الباري ج١١ ص١٦.

(٧) التحصيل ص٢٦..

(٨) التحصيل ص١٣٣.

(٩) التحصيل ص٥٣٠.

(١٠) جامع البيان ج٦ ص٩٠.

واستعان المهدوي بأقوال الحنفية إذا كان حكمها حكم المذهب المالكي وتارة يذكر المذهب الحنفي وحده فمن أمثلة ذلك القول في الحكمين عند مسألة التراضي بين البائع والمشتري يقول: "والتراضي عند مالك وأبي حنيفة وأصحابه هو التراضي بعقد البيع"(١) والتفرقة بين البيعين هو العقد خلاف ما روى عن ابن عمر "المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا إلا ببيع الخيار"(٢).

ومن أمثلة ذكر المذهب الحنفي وحد عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف**﴾ [النساء: ٦]، يقول: "له أن يأكل من مال اليتيم إذا كان يقوم فيه من يسد جوعته ووارى العورة ولا قضاء عليه إذا وجد وهو قول أبي حنيفة وأصحابه"(٣)، وتارة يذكر المهدوي آراء المذاهب بدون أن يرجح بينها نحو تفسيره لقوله تعالى: ﴿وأخواتكم من الرضاعة﴾ [النساء: ٢٣] ذكر المهدوي رأي مالك في الرضاع بأن قليله وكثيره يحرم ثم عضد القول برأي أبي حنيفة وأصحابه وهو نفس ما ذهب إليه مالك ثم جاء برأي الشافعي إذ جعل الرضاع المحرم خمس رضعات(٤) ولم يرجح بعضها وقد رد ابن العربي (خمس رضعات) فقال: "يجب الأخذ بمطلق القرآن"(٥) ورده ابن عبد البر(٦)، وقد تحدثنا عن ذلك عند ترجيحنا لهذه المسألة ومن عدم ترجيحاته أيضا عند حكم اليتيم في الحضر والسفر والرخصة للمريض في الاغتسال والتيمم وعدد الضربات التي تجيز بها الصلاة ونوع التيمم فقد ذكر قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وابن القاسم والثوري وأحمد بن حنبل بدون أن يرجح قول أحد الفقهاء عن الآخر(٧).

ونفس الحكم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فتحرير رقبة مؤمنة**﴾ [النساء: ٩٢] جاء بأقوال الفقهاء من غير ترجيح إحداهما(٨)، وخصص المهدوي بعض الأحكام وتعميمها في آن واحد نحو ما فعله عند تفسير قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾ [المائدة: ١] قال: إن الآية خاصة بنقض العهد من اليهود ثم عمم الحكم استنادا إلى قول الصحابة والتابعين في كلا الحكمين وتمليك وتخيير وعتق وتدبير وغير ذلك من الأمور وما كان ذلك غير خارج عن الجائز في الشريعة..."(٩).

---

(١) التحصيل ص١٦٤.

(٢) صحيح البخاري كتاب البيوع، باب ٤٤ البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ج٤ ص٣٨٥ رقم ٢١١١ وهو قول الشافعي انظر الأم ص٧٥ والرسالة ص٣١٣.

(٣) التحصيل ص٣٢.

(٤) التحصيل ١٤٢.

(٥) أحكام القرآن ج١ ص٣٤٧.

(٦) التمهيد ج٨ ص٢٦٨.

(٧) التحصيل ص٢٣٣.

(٨) التحصيل ص٣٢٦.

(٩) التحصيل ٥٠٣.

وتارة لم يعلل المهدوي أحكامه كتفسيره لقوله تعالى: ﴿**وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم**﴾ [المائدة: ٥] قال: "وكره كثير من العلماء أكل ذبائح بني تغلب"(١) ولو رجع المهدوي إلى قول علي بن أبي طالب لوجد التعليل قال علي: "لا تأكلوا ذبائح نصارى تغلب فإنهم يتمسكون بالنصرانية بشرب الخمر"(٢) وفي رواية عنه "فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر"(٣) ومن عدم تعليلاته أيضا كره العلماء صيد المجوسي(٤)، وتعليل ذلك أن المجوس ليسوا من أهل الكتاب(٥) والملفت لقول المهدوي أنه جعل المجوس من أهل الكتاب اعتمادا على قول أبي ثور(٦).

ولعل أبا ثور دلل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سن فيهم سنة أهل الكتاب لكن هذه السنة انحصرت في الجزرية فقط دون أكل ذبائحهم(٧)، والدليل على أنهم ليسوا من أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا**﴾ [الأنعام: ١٥٥، ١٥٦] ولم يعلل أيضا أكل ما صاده المجوسي من الحيتان(٨) والتعليل على ذلك بسيط يتجلى في قول الرسول صلى الله عليه وسلم في البحر "هو الطهور ماؤه الحل ميتته"(٩).

واعتمد المهدوي في بيان الأحكام على أصول الفقه بالنسبة لدلالات الخطاب كما هو موضح في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فمن نفسك**﴾ [النساء: ٧٩] قال: "والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته"(١٠)، ونحو قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله**﴾ [النساء: ١٣٦] قال: "يجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون لمن آمن بمن تقدم محمدا من الأنبياء"(١١)، وقوله تعالى: ﴿**فلا تأس على القوم الفاسقين**﴾ [المائدة: ٢٦] قيل هو خطاب لموسى وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم(١٢).

---

(١) التحصيل ٥٤٠.

(٢) جامع البيان ج٦ ص١٠١.

(٣) الأم، كتاب ذبائح نصارى العرب ج٢ ص٢٥٤.

(٤) التحصيل ص٥٤١.

(٥) الناسخ والمنسوخ النحاس ص١١٣.

(٦) التحصيل ص٥٤٣.

(٧) أحكام القرآن الجصاص ج٢ ص٣٢٧.

(٨) التحصيل ص٥٤٣.

(٩) الموطأ: كتاب الصيد باب ٣ ما جاء في صيد البحر ج٢ ص٤٩٥.

(١٠) التحصيل ص ٣٠٢.

(١١) التحصيل ص ٦٤٠

(١٢) التحصيل ص ٦٤٠

واعتمد في تفسير بعض آياته لإثبات الإجماع والقياس فبالنسبة للإجماع[1] استند إلى قوله تعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي واتبع غير سبيل المومنين**﴾ [النساء: ١١٥] أما بالنسبة للقياس أثبته بقوله تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ [محمد: ٢٤] قال: "وفيه دليل على الأمر بالنظر في الاستدلال وإبطال التقليد ومنه دليل على إثبات القياس"[2]، كما تحدث عن بعض أقسام الحكم التكليفي كالندب والإباحة[3].

الخاتمة:

من أجمل الأوقات في حياة الإنسان أن يعيش في كنف علم التفسير إذ موضوعه بيان كلام الله تعالى إذ حاز الشرف من حيث الموضوع وهو القرآن الكريم وبه يعرف مراد الله إذ الإنسان في حاجته في حياتهم كلها.

وقد تنافس المشارقة والمغاربة في هذا الميدان وقد برز ذلك من خلال مؤلفاتهم التفسيرية وحفظ لنا التاريخ رواد هذا العلم منذ تفسير ابن عباس ومن جاء بعده.

ولا أخال أبالغ إذ صنفت الشيخ أبا العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت٤٤٠هـ) من طلائع هؤلاء، والذي لم يسبق في منهجه التفسير أحد عدا ما ألفه الإمام الحوفي (ت.٣٣٠هـ) في كتابه البرهان في علوم القرآن.

وبدأ هذا المنهج للمهدوي في كتابه التفصيل والتحصيل، وعلى العموم فقد أسهم المغرب الإسلامي في هذا التراث التفسيري إسهاما كبيرا نستنبط بعضا منه.

١- دور المدرسة التفسيرية في المغرب الإسلامي لهذا العلم منذ أن من الله عليها بالفتح الإسلامي، وغنى هذه المدرسة بروادها كيحي بن سلام وبقي بن مخلد وأبي عمرو الداني ومكي بن أبي طالب القيسي والمهدوي وابن عطية والقرطبي وابن العربي.

٢- تأثير المدرسة المشرقية على المدرسة المغربية في علم التفسير والتشابه بينهم في مجال التأليف.

٣- شمولية المعرفة لدى الشيخ المهدوي، وذلك واضح من خلا كتابيه في التفسير التفصيل والتحصيل.

٤- رجحان أن كتاب التفصيل من مؤلفات المهدوي ودحض شبهة الزاعمين أن الكتاب ليس من تأليفه ودليل ذلك أن كتاب التحصيل الذي جاء نسخة مختصرة له.

٥- المذهبية المالكية للمهدوي في الفقه والمذهبية البصرية في النحو.

٦- حشو المهدوي تحصيله بعض الروايات المرجوحة في أسباب النزول وكثرة استعمال المرويات للناسخ والمنسوخ.

٧- اعتماده على الإسرائيليات من غير انتقاد لها.

(١) التحصيل ص٤٠٦.

(٢) التحصيل ص٣٦٢.

(٣) المصدر نفسه ص٥١٥ و٥٤٥.

المصادر والمراجع

إبراز المعاني من حرز الأماني من القراءات السبع: أبو القاسم بن فيرة بن أحمد الرعيني الشاطبي (ت. ٥٩٠هـ).

الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت. ٩١١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة دار التراث، القاهرة: ط.٣، ١٩٨٥.

أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي، الجصاص (ت. ٣٧٠هـ) دار الفكر.

أحكام القرآن: أبو بكر بن عبد الله ابن العربي: (ت. ٥٤٣هـ) دار الجيل بيروت – لبنان ١٩٨٧.

أسباب النزول: أبو الحسن علي بن احمد الواحدي: دار المعرفة – بيروت – لبنان.

الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل شهاب الدين العسقلاني (ت. ٨٥٢هـ) دار الكتب العلمية – بيروت.

إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس (ت. ٣٣٨هـ) عالم الكتب: مكتبة النهضة العربية ط.٣، ١٩٩٨.

أنباه الرواة على أنباه النحاة: أبو الحسن جمال الدين القفطي دار الفكر القاهرة ط.١، ١٩٨٦.

البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت. ٧٩٤) مكتبة دار التراث ط.٣ – ١٩٨٤.

بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس: أحمد بن يحي الضبي (ت. ٥٥٩هـ) دار الكتاب العربي ١٩٦٧.

ترجمة المؤلفين التونسيي: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنان: ط.١ – ١٩٨٥.

تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء عماد الدين ابن كثير (ت.٧٤٤هـ) دار المعرفة بيروت – لبنان ١٩٨٠.

التفسير والمفسرون: محمد حين الذهبي، مكتبة وهبة. ط.٢ – ١٩٨٥.

التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت.٦١٦هـ) دار الجيل – بيروت لبنان. ط.٢ – ١٩٨٧.

جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: أبو عبد الله محمد بن أبي نضر الحميدي (ت.٤٨٨هـ) دار الكتب اللبناني – مكتبة المدرسة ط.٢– ١٩٨٣.

جامع بيان العلم: أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (ت.٤٦٣هـ) مصر – ط.١.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر بن جرير الطبري (ت.٣١٠هـ) دار المعرفة.

الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت.٦٧١هـ) الهيئة المصرية العامة لكتاب القاهرة، ١٩٨٧.

الحجة للقراء السبعة: أبو علي الحسن الفارسي (ت.٣٧٧) دار المأمون للتراث – دمشق – ط.١ – ١٩٨٧.

سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي: أبو القاسم علي ابن عثمان بن الحسن القاصح البغدادي: دار الفكر ١٩٨١.

سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت.٢٩٧هت) دار الحديث الأزهر – القاهرة ط١، ١٩٨١.

سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت. ٢٥٥هـ) دار الكتاب العربي – بيروت ط.١ – ١٩٨٧.
سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: (ت.٧٤٨هت) مؤسسة الرسالة – ط.١ – ١٩٨٣.
شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن مخلوق دار الفكر بيروت.
شرح الهداية في توجيه القراءات: أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت.٤٤٠هـ) مكتبة الرشد: الرياض: ط.١ – ١٩٩٥.
فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت. ٨٥٢هـ) دار الريان للتراث ط.١ – ١٩٨٧.
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، دار الفكر ١٩٨٢.
لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت. ٩١١هـ) دار المنار القاهرة.
لسان العرب: محمد بن منظور الإفريقي: (ت. ٧١١هـ) دار المعرفة.
الصلة: أبو القاسم بن عبد الملك ابن بشكوال (ت. ٥٧٨هـ) مطابع سجل العرب – القاهرة.
طبقات المفسرين: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت. ٩١١هـ) مكتبة وهبة – القاهرة ط.١ – ١٩٧٦
طبقات المفسرين: شمس الدين محمد بن بسيط الداودي (ت. ٩٤٥هـ).
طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، مطبعة المدني القاهرة.
غاية النهاية في طبقات القراء: أبو الجند شمس الدين محمد بن محمد الجزري (ت. ٨٣٣هـ) دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط.٢ – ١٩٨٩.
الغنية: فهرست شيوخ القاضي عياض (ت. ٥٥٤ هـ) دار العرب الإسلامي – بيروت – لبنان: ط.١ – ١٩٨٢.
مجموع فتاوى شيخ الإسلام، تقي الدين احمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت. ٧٢٨هـ).
المحتسب في تبيين وجوه شواذ القرآن والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان ابن جني (ت. ٣٩٢هت) لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة.
المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي: (ت. ٥٤٦هـ) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: المغرب ١٩٧٧.
معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت. ٦٢٦هـ) دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان ط. ١٩٩٣.
معجم قبائل المملكة العربية الشعودية: حمد الجاسر، دار اليمامة: الرياض – السعودية ط.١ – ١٩٨١.
معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت. ٧٤٨هـ) دار الكتب الحديثة – مصر – ط.١.
مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت. ٧٢٨هـ) دار القرآن: ط.١ – ١٩٧١.

مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر.
منجد المقرئين ومرشد الطالبين: أبو الخير شمس الدين ابن الجزري (ت. ٨٣٣هت) – ١٩٨٠.
معالم التنزيل في التفسير والتأويل: أبو محمد الحسين الفراء البغوي (ت. ٥١٠هـ) دار الفكر ١٩٨٥.
معجم الشواهد العربية: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي – القاهرة ط.١ – ١٩٧٢.
الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت. ٥٤٣هـ) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ١٩٨٨.
الناسخ والمنسوخ: أبو جعفر محمد بن أحمد الصفار النحاس (ت. ٣٣٨هـ) مؤسسة الكتاب الثقافي – ط.١ – ١٩٨٩.
النشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن أحمد ابن الجزري (ت. ٨٣٣هـ).
نواسخ القرآن: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (ت. ٥٩٧هـ).
وفيات الأعيان وأبناء الزمن: أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (ت. ٦٨١هت) دار صادر بيروت.